

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع والديمقراطية



الانتقال الحضاري للمجتمع في فكر مالك بن نبي

مذكرة في إطار مقتضيات نيل شهادة ماستر تخصص علم اجتماع اتصال

إشراف الدكتور :

- أ. د. دلاسي محمد

من إعداد الطالبة :

➤ خالدي خديجة فاطمة الزهراء

➤ قنيول سعاد

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

۱۴۳۸ هـ

شكر وعرّفان

بعد أن من الله علينا بإنجاز هذا العمل فإننا نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى أولاً وأخراً بجميع أنواع الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي غمّرنا به، فوفّقنا إلى ما نحن فيه راجين منه دوام نعمه وكرمه وبركته.

وله الحمد أن اختارنا مسلمين لنحظى بطمأنينة قرآنه الكريم ولنعيش في كتف رحمته الواسعة حمداً كثيراً إلى يوم الدين.

وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "من لا شكر الناس لا يشكر الله".

لا سعنا إلا أن نتقدم بجزل الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على إتمام هذا العمل.

ونتقدم بالشكر للأستاذ المشرف دلاسي محمد

كما نتقدم بالشكر والعرّفان للأساتذة الذين أسروا إلينا النصح وبسطوا لنا يد العون وبذلوا كبير الجهد تفضلاً منهم وكرماً لانجاز هذا العمل.

وأخر دعوانا ان الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إهداء

في البداية أحمد الله سبحانه و تعالى الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا
الواجب ووفقني على إنجاز هذا العمل المتواضع
أهدي هذا العمل لمن كانت سندا لي وشمعة أضاءت ولا زالت تضيئ لي دربي نور قلبي وبهجة
روحي أمي " خيرة " أطال الله في عمرها ،

وأهديه أيضا الى أبي " مخلوف " تأج رأسي حفظه الله لي
كما أهدي ثمرة جهدي لكل إخواني وأخواتي الأعمام ورياحين حياتي ، لخضر ، صفى الدين ، غنية ،
زوليخة ، يمينة ، فاطمة الزهراء ، والكتكوتة سرين
كما أهديه الى رفيق دربي في هذه الحياة زوجي الغالي " محمد " وإبني العزيز وقرة عيني " صلاح
الدين " وعائلتي الثانية أبي " صالح " و أمي " خديجة " حفظهما الله وإلى أخواتي الأعمام إيمان ، وسام
، رحاب و أمزاني البراعم إسلام ، مريم ، فدوى ، يحيى ، سميرة
وإلى رفيقة دربي في مشواري الجامعي " خديجة "
وإلى يذابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت كل صديقاتي خاصة ، خيرة ، رانيا ، بسمة
، حسناء ، صفية الى كل الأحباب والأقارب خاصة جدتي العزيزة و الغالية فاطمة رحمة الله عليهما

أصدقائي وكل الأحبة.

إهداء

الى اغلى ما لدي في الوجود الى من اعطتني الحب بلا حدود
الى أمي الحبيبية الغالية
الى النجم الساطع والقمر المضيء وشمعتي التي لا تغيب
الى ابي نور عيني
الى كل افراد العائلة الكريمة صغيرا وكبيرا
الى كل اصدقائي واحبائي التي كانت الدراسة رحابا لتعارفنا
الى كل صديقاتي
الى كل من نسيم قلبي وتذكرهم قلبي
اليكم كلكم اهدي ثمر جهدي هذا



ملخص

عالجنا في هذه الدراسة أو الموضوع الانتقال الحضاري وعلاقته بفكر مالك بن نبي (دراسة تحليله لكتاب شروط النهضة) وهي تهدف إلى معرفة الانتقال والنهوض الحضاري وكيف ينظر إليها مالك بن نبي من خلال كتاب شروط النهضة كما اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي قسمت إلى مقدمة وثلاث فصول حيث تناولنا في الفصل الأول مالك بن نبي إما الفصل الثاني شروط النهضة إما الفصل الأخير الانتقال الحضاري لدى مالك بن نبي وتوصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمها :

✓ اهتمام مالك بن نبي بالحضارة

✓ شروط النهضة تعتبر من اهمم جاء به مالك بن نبي

✓ لانتقال الحضاري والدورة الحضارية يحتلان مكانة مركزية في فكر مالك بن نبي

الكلمات المفتاحية: الانتقال الحضاري ،الدوري الحضاري ،النهوض الحضاري،

شروط النهضة

Abstract

In this study or topic, we dealt with the civilization transition and its relationship to the thought of Malik bin Nabi (analytical study of the book Conditions of the Renaissance). Where we dealt in the first chapter, Malik bin Nabi, the second chapter, the conditions of the Renaissance, and the last chapter the civilization transition of Malik bin Nabi. The study reached a set of results, the most important of which are:

Malik bin Nabi's interest in civilization

The conditions of the Renaissance are considered one of the most important things that Malik bin Nabi brought

The cultural transition and the civilization cycle occupy a central place in Malik Bennabi's thought

Key words

- ✓ Civilized transition
- ✓ Civilization League
- ✓ civilizational advancement
- ✓ Renaissance terme

Résumé

Dans cette étude ou thème, nous avons traité de la transition civilisationnelle et de sa relation avec la pensée de Malik bin Nabi (étude analytique du livre Conditions de la Renaissance).Où nous avons traité dans le premier chapitre, Malik bin Nabi, le deuxième chapitre, les conditions de la Renaissance, et le dernier chapitre la transition civilisationnelle de Malik bin Nabi.

L'intérêt de Malik ben Nabi pour la civilisation

_ Les conditions de la Renaissance sont considérées comme l'une des choses les plus importantes que Malik bin Nabi a apportées

La transition civilisationnelle et le cycle civilisationnel occupent une place centrale dans la pensée de Malik Bennabi

les mots clés

- transition civilisée
- Ligue des civilisations
- progrès civilisationnel

فهرس المحتويات

شكر وعرهان

إهداء

أ	ملخص :
Erreur ! Signet non défini.	abstract et resume :
1	مقدمة:
3	الفصل الأول : الإطار المنهجي
Erreur ! Signet non défini.	اشكالية الدراسة:
Erreur ! Signet non défini.	دوافع اختيار الموضوع :
Erreur ! Signet non défini.	أهمية الدراسة:
Erreur ! Signet non défini.	اهداف الدراسة:
Erreur ! Signet non défini.	مناهج البحث:
11	الفصل الثاني: النشأ الاجتماعية لمالك بن نبي
Erreur ! Signet non défini.	حياته و نشأته :
Erreur ! Signet non défini.	تكوين العلمي و المعرفي:
Erreur ! Signet non défini.	افكاره:
Erreur ! Signet non défini.	مؤلفاته:
Erreur ! Signet non défini.	مواقف مالك بن نبي من قضايا عصره:
Erreur ! Signet non défini.	الوظائف التي مارسها:
32	الفصل الثالث :شروط النهضة
Erreur ! Signet non défini.	تعريف بالكتاب:
Erreur ! Signet non défini.	مكانة كتاب شروط النهضة:
Erreur ! Signet non défini.	الحاضر و التاريخ:
Erreur ! Signet non défini.	المستقبل:

Erreur ! Signet non défini.:الانسان

Erreur ! Signet non défini.:التراب

Erreur ! Signet non défini.:الوقت

Erreur ! Signet non défini. :الاستعمار و الشعوب المستعمرة و معامل الاستعماري

64..... الفصل الرابع: الانتقال الحضاري لمالك بن نبي

Erreur ! Signet non défini.: مفهوم الحضارة

Erreur ! Signet non défini. : مقارنة مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و غيره من العلماء : .
défini.

Erreur ! Signet non défini.: الدورة الحضارية

Erreur ! Signet non défini. : مقومات الحضارة

87..... تعريف الدوري الحضاري عند بن نبي :

Erreur ! Signet non défini.: خصائص الدوري الحضاري

Erreur ! Signet non défini : منطلقات و مرجعيات بن نبي قى ارساء قواعد الدور الحضاري :
défini.

Erreur ! Signet non défini. : مراحل الدورة الحضارية عند مالك بن نبي

Erreur ! Signet non défini.: الاستنتاج العام

87..... خاتمة

Erreur ! Signet non défini.: قائمة المراجع

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم القائل في محكم كتابه المبين:

(انا الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد -11

إذا كان ابن خلدون فيلسوف الحضارة الإسلامية الأول ومن ابرز المفكرين الذين اهتموا بتقديم رؤية منهجية لمفهوم الحضارة فإن مالك ابن نبي يعتبر ولا ريب ابرز مفكر إسلامي قد عني من بعده الفكر الحضاري فمالك ابن نبي قد حدد ملامح هذا العلم الذي نستشف موضوعه ومفاهيمه في مؤلفاته حيث تساءل عن كيفية إعادة البناء الحضاري للعالم الإسلامي وتوصل إلى القوم بأن الدين هو الذي يسهم في عملية التغير الاجتماعي والبناء الحضاري وذلك بتغير صفات الإنسان وتحويله من فرد إلى شخص صانع لحضارته

إن العالم الإسلامي والعربي خصوصا يعاني اليوم من تراجع حضاري وانحلال أخلاقي في ظل التقدم الحضاري الغربي فهو يسعى إلى الخروج من هذه الحالة والبعث نحو الانتقال ومالك ابن نبي من المفكرين العظماء الذين كان لهم الأثر البارز في التأسيس لمشكلات الحضارة حيث تتبع واقع الأمة ورصد مشكلاتها الحضارية وقد قدم لها حولا في صيغ رياضية كلية بعيدة عن الجزئية لذا وجب على الدراسات الفكرية الحضارية المعاصرة و التوسع في البحث حول مشكلات الحضارة والكشف عن أسباب التخلف والانتقال ، انطلاقا

من هذا يتأكد الاهتمام بهذا الحقل الدراسي للحضارة والبحث عن مبادئ وعوامل إسلامية راسخة لبناء نهضة حضارية

الفصل الأول:

الإطار المنهجي

الفصل الأول: الإطار المنهجي

1. إشكالية الدراسة:

مالك بن نبي هو صاحب نظرية عميقة في البناء الحضاري حيث ارتكزت افكاره في تحليل قضايا العالم الإسلامي، كالثقافة والتاريخ والاستعمار، فتناولها بالدراسة في كل مؤلفاته تقريبا وبكل أبعادها، فأبدع في تحليلها وشرحها وطور بعض مفاهيمها، كما أهتم بن نبي في كل أعماله بمحاولة معرفة أسباب خروج المجتمعات الإسلامية من دورة الحضارة ومسرى التاريخ ، محاولا إيجاد حلول مناسبة لإعادة تلك المجتمعات الإسلامية إلى مسارها وموقفها الصحيح ، عكس ما أصبحت عليه الأمة الإسلامية اليوم التي أصبحت تسعى للخروج إلى آفاق الانتقال والنهوض محاولة المزوجة بين الجوانب المختلفة في المركب الحضاري ومشروع دراسة الحضاري للمفكر مالك بن نبي قد يعد منطلقا لتحقيق الانتقال الحضاري وعلى ضوء ذلك حاولنا معالجة الإشكال التالي :

كيف يرى مالك بن نبي الانتقال الحضاري للمجتمع ؟
وينفرع الإشكالية إلى التساؤلات التالية:

- ❖ مامدى رؤية مالك بن نبي لكتابه شروط النهضة ؟
- ❖ ما مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي ؟
- ❖ هل يمكن للدورة الحضارية تحقيق الانتقال ؟
- ❖ ماهي الآليات التغيير والنهوض الحضاري؟

2. دوافع اختيار الموضوع:

إن دوافع اختيار الموضوع تتراوح بين الموضوعي والذاتي نجلها كالاتي:
أسباب الذاتية:

محاولة التعريف بعالم جزائري مالك بن نبي وطرح أهم أفكاره إبراز مكانة المرموقة لفكره الذي يمتلكه من بين المفكرين العرب وما تأثيره في الفكر الإسلامي من أفكار جديدة طرحه لمشروع مشكلات حضارية من أهم المشاريع التي طرحها

أسباب الموضوعية:

- ✓ طغيان المواضيع المتعلقة بفكر مالك بن نبي
- ✓ إن فكر مالك بن نبي هو مشروع ينطلق من الإنسان إلى الثقافة إلى التربية إلى الحضارة
- ✓ الاهتمام العالمي بأفكار مالك بن نبي وأطروحاته في العلوم الاجتماعية والإنسانية وإهمال هذا الفكر في بلده الجزائر

✓ التعريف على كتاب من مشروعه مشكلات الحضارة ومن ذلك تتضح أهمية الموضوع كونه يعالج مسألة من مسائل الراهنة على مستوى الفكري والسياسي .

3. أهداف الدراسة:

إن البحث في كيفية انتقال الحضارة في فكر مالك بن نبي بصفة خاصة الا وهي كيفية الانتقال الحضاري ومكانة الدورة الحضارية التي تتدخل في جميع نظام الحياة وكذا المنهج الفكري والحضاري لمالك بن نبي ومن بين الأهداف هي:

✓ الوقوف لحل المشكلات الحضارية

✓ الكشف عن أهم المكونات الحضارة

✓ إلقاء الضوء على بعض الجوانب الضرورية لبحث النهضة الحضارية

✓ تسليط الضوء على إرساء قواعد حضارية وآليات التغيير الحضار

4. أهمية الدراسة :

تتجلى أهمية الدراسة من خلال المكانة التي يكتسبها موضوع شروط النهضة والحضارة في الدراسات المعاصرة كما يتجلى أيضا في الفكر والمنهج الذي يحمله المفكر المعاصر مالك بن نبي، الذي شغلت قضيته الحضارة ومكوناتها واحتلت مكانة مركزية عنده حيث بحث في ما يعانيه العالم الإسلامي من مشكلات حضارية وفي نفس الوقت قدم حلول التي من شأنها أن تنهض وتبني عليها الحضارة.

5. مناهج البحث:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة في هذا البحث اعتمدنا على التحليل الاستنتاجي و تحليل محتوى.

الفصل الثاني :

النشأة الاجتماعية لمالك بن نبي

الفصل الثاني: النشأة الاجتماعية لمالك بن نبي

1. حياته ونشأته :

اسمه مالك بن عمر بن حضير بن مصطفى بن نبي و اشتهر بن نبي و كان يلقب باسم الصديق ولد مالك بن نبي في عام 1329 هجري الموافق لـ يناير 1905 ميلادي ، و هو الابن الوحيد بالإضافة إلى ثلاث بنات ماتت إحداهن و هو صغير ، يعمل ابوه موظفا بسيطاً¹ في الإدارة الحكومية بمنطقة تبسة بينما أمه السيدة زهيرة بن عيسى كانت تساعد والده في تحسين دخل البيت عن طريق الخياطة .. ولد مالك لأبوين متدينين في أسرة لها اطلاع على مجريات الأحداث متأثراً بالواقع الأليم الذي أصاب الجزائر و من الأشخاص الذين ربطوه تاريخيا بالماضي جدته من أمه السيدة زليخة حيث كانت تروي له عن فترة انتهاك المستعمر كانت هي المدرسة الأولى التي تعرف منها مالك بن نبي عن جرائم الاستعمار كما تعلم منها القيم و الأخلاق . و يقول أيضا تعلمت من جدي ان الصدق و العطف على الفقراء من أهم الأخلاق التي اغتنى بها الإسلام وكان عمه محمود بصحبه معه إلى الزاوية العيسوية و بذلك يتضح تكوينه منذ بداية حياته و نشأته الإسلامية². دخل المدرسة و بعد تخرجه من الثانوية سافر إلى فرنسا وهناك تزوج من امرأته الأولى الفرنسية بعد إن أعلنت عن إسلامها و سمت نفسها خديجة إذ كان لها الأثر الكبير في حياته , عام 1973 ميلادي و أثناء رحلته إلى مدينة الاغواط في الجزائر حيث كان يلقي بعض المحاضرات.

هناك اشتد عليه المرض و كان قد أصيب بسرطان (البروستات) فسافر إلى فرنسا للعلاج و اجري عملية فيها و بعدها نصحه الطبيب بالعودة الى بلده و عاد مالك بن نبي إلى الجزائر ليتوفاه الله بعد

¹ قرار صافية 2019 مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،مذكرة ماستر ص 8

² ياسين عطوي 2016 المفكر مالك بن نبي حياته اعماله ص3

ثمانية أيام الاربعاء شوال 1393 هجري الموافق لـ 31 / 10 / 1973 ميلادي عن عمر تجاوز الستين إلا قليلا بعد ان ترك ثروة وافرة من الفكر المتجدد¹.

2. تكوينه العلمي و المعرفي:

- لقد كان والد مالك بن نبي متعلما، حيث درس في الدارس الحكومية التي كانت موجودة آنذاك وكان على اتصال بالحركة الثقافية و يمتلك مكتبة خاصة فيها كتبا قيمة كبيرة عربية و فرنسية. بدأ مالك دراسته في كتاب مدينة تبسه و فيه حفظ أجزاء من القرآن الكريم، كما التحق بالمدرسة الفرنسية الابتدائية في تبسه ثم درس الثانية في قسنطينة و نجح فيها بعد امتحان المنح واقعي من المرسوم ثم دخل مدرسة سيدي الجليس التي كانت بمثابة معهد إسلامي ، وكان هدف والديه إن يتعلم ليكون كاتب عدل وفيها تعلم النحو و الصرف على يد الشيخ " عبد الجليل " وكان الشيخ المولود بن موهوب يعلمه علم الكلام و سيرة الرسول عليه الصلاة و السلام ، و علمه مارتن التعبير و المطالعة و بوبريتي علمه التاريخ و الأدب الفرنسي². وكان مالك كثير المطالعة يستعير الكتب في مدينته و منها :

مكتبة النجاح ومكتبة المدرسة و مما قرأ كان له تأثير في تكوينه الثقافي في الفشل الأخلاقي في السياسة الغربية في الشرق لمحمد رضا و " رسالة التوحيد " لمحمد عبده و " مقدمة ابن خلدون " " لابن خلدون " " الهند الفتاة " لرومان رولات ، كيف تفكر " لجون ديوي " ... و بعد انتهاء مالك بن نبي دراسته من الثانوية سافر الى فرنسا بغرض الدراسة فيها و هناك تعرف على جمعية اسمها الوحدة المسيحية للشبان بارسيين وكان هو المسلم الوحيد و واكب وجوده في فرنسا تأسيس مجموعة من طلبة شمال إفريقيا وكان هو حلقة الوصل بين المجموعتين و بدأ مشواره السياسي³ في إنشاء مثل حزب إفريقيا و قام بتوزيع منشورات جمعية علماء الجزائريين في فرنسا بعنوان " مثقفون " و في فرنسا اخذ يتوجه إلى دراسة الفلسفة

¹ قرار صافية مرجع سابق ص 9

² قرار صافية المرجع السابق ص 10

³ قرار صافية المرجع السابق ص 11

و علم اجتماع و الهندسة و تخرج مهندس كهربائي و توجه إلى القاهرة عام 1956 و فيها ظهر نجمه و بدأ علماء الأزهر و المفكرون يتصلون به و تأثر بعضهم بفكره و اخذ بعض أصدقائه للتحضير لفكرة الثورة و بعد نجاح الثورة لم يذهب الى الجزائر إلا في عهد هواري بومدين لأنه من منتقدي حكومته في عهد بن بلة.¹

3. أفكاره:

- لوحظ على مالك الابن الطفل ميل طافح وولع ظاهر لحب التعلم و التعلق بالقراءة حتى انه كان يتلقى دروسا إضافية عن دراسته في المدرسة في النحو و الصرف و البلاغة و الثقافة العربية على يد الشيخ " عبد المجيد " أخذت أفاق مالك في هذه المرحلة تتسع لكثرة قراءته و مشاهداته لشخصية و خاصة بمتابعته للصحف ، ف شعر بانتمائه يتجه نحو الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان يؤلمه الواقع الذي فرضته الظروف الاستعمارية² و تفوق مالك على أقرانه في المدرسة الابتدائية سنة 1918 ميلادي بدرجة جيد ، ثم انتقل بعدها الى قسنطينة لمواصلة تعليمه فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية إلى جانب دراسة الثقافة الغربية .

أحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته فكان مولعا بالشريط الوثائقي الأمريكي اسرار نيويورك الذي كان يعرض في قسنطينة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن هناك تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية انبهارا و إنما في نفس الوقت، فاطلاع مالك على الثقافة الغربية دون محاولة التصدر للمنتجات ، فيشاهد التلفزيون و يركب السيارة و الطائرة دون إن يسأل كيف صنعت ؟ فشبه بالطفل الصغير الذي ينبهر باللعبة فيتعين إن الأمة المنتجة قوية و بها أعدائها و الأمة المستهلكة ضعيفة و تكون ألعبه في أيدي أعدائها .

¹ قرار صافية نفس المرجع ص 12

² ياسين عطوي المرجع السابق ص 5

ففي قسنطينة أصبح يرى الأشياء من زاوية المجتمع و الحضارة¹ كما تأثر مالك بالشيخ بن باديس الذي يمثل بنظرة الرجل المنفي . تخرج مالك بن نبي من الثانوية سنة 1925 ميلادي و بعدها كان الوحيد في ذلك الظرف هو الحصول على عمل فسافر الى فرنسا لعله يجد عملا و حينما لم يجد عاد الى الجزائر ثم عاد الى فرنسا سنة 1930 ميلادي ليس للعمى و إنما لإتمام دراسته العليا ليصبح محاميا فيما بعد لكن رغبته لم تتحقق حيث حاز على شهادة مهندس كهربائي سنة 1935 ميلادي ، أثناء وجوده بفرنسا انخرط بجمعية الشاب المسيحي حيث استطاع بواسطتهم إن يتعرف على أفكارهم و يظهر هذا في كتابه " الظاهرة القرآنية " و مقارنته بين نصوص القرآن و نصوص الإنجيل و بكثرة نشاطه صار مراقبا من طرف مصالح الأمن الاستعمارية خاصة بعد مشاركته في نشاط الحزب الوطني الجزائري " نجم شمال إفريقيا " و جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي انتخبته نائب للرئيس و لقد زاده بروزا و تألقا المحاضرة التي ألقاها سنة 1931 م تحت عنوان لماذا نحن مسلمون ؟ فكانت مفتاح شهرته له في الوسط الثقافي الطلابي في باريس .²

4. مؤلفاته:

كانت معظم مؤلفات مالك بن نبي في اللغة الفرنسية وأخرى باللغة العربية ، تم ترجمة التي كتبها باللغة الفرنسية إلى العربية وله تقريبا عشرين كتابا مطبوع وكانت معظمها مطبوعة في القاهرة دمشق والجزائر وله إحدى عشر كتابا لم يطبع بعد ، وتصنف حسب موضوعاتها منها :

❖ **الظاهرة القرآنية:** ونشر بدار القرآن الكريم ، وقام بترجمته الدكتور عبد الصور شاهين كانت تحت رعاية الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية في الكويت عام (1978_1398) عدد

¹ ياسين عطوي نفس المرجع ص 6

² ياسين عطوي نفس المرجع ص 7،8

صفحاته 363 صفحة ، درس فيه مالك النبوة وأصول الإسلام وظاهرة الوعي وقضايا متعلقة بالقرآن الكريم¹.

❖ **شروط النهضة :** نشر بدار الفكر عام 1960م وقام بترجمته الدكتور عبد الصور شاهين وهو متوسط الحجم وعدد صفحاته 159 صفحة ، حيث بين فيه أهم شروط وتركيب الحضارة، وركز فيه على دور الذي تلعبه الفكرة الدينية كمحرك من عناصر التاريخ وكحقيقة يؤيدها تاريخ الحضارات.

❖ **ميلاد مجتمع:** ونشر بدار الفكر العام 2000م. وقام بترجمته الدكتور عبد شاهين وهو متوسط الحجم وعدد صفحاته، عدد صفحاته 107 إذ هذه الدراسة تشمل على منهجية المفاهيم النظرية والتي ترجع إليها العناصر الخاصة بميلاد المجتمع

❖ **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:** ونشر بدار الدعوة عام 1970 وقام بترجمته محمد عبد العظيم علي وهو من الحجم المتوسط وعدد صفحاته 71 صفحة ، وطبعاً أخرى ترجمة على يد الدكتور هشام بركة والدكتور أحمد شعبو ، طلعة دار الفكر الطبعة الأولى عام 1988 م، وهو متوسط الحجم وعدد صفحاته 182 ص .

❖ **مشكلة الثقافة:** ونشر بدار الفكر عام 1984م، الطبعة الرابعة، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ، وهو من حجم متوسط وعدد صفحاته 162 ص حيث تحدث فيه عن مفهوم الثقافة وعلاقتها بعلم الاجتماع وتوجيه الثقافة

❖ **إنتاج المشرفين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث :**

- ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة عام 1970 م ، وهو صغير الحجم وعدد صفحاته 62 صفحة
- آفاق الجزائر ، ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة ، الطبعة الثانية عام 1971 م²

¹ قرار صافية ، المرجع السابق ص 13

² قرار صافية نفس المرجع ص 14

- المسلم في عالم الاقتصاد ، ونشر بدار الفكر عام 1972 م متوسط الحجم وعدد صفحاته 111ص
- بين الرشاد والنية ، ونشر بدار الفكر عام 1978م وهو متوسط الحجم عدد صفحاته 111 صفحة
- وجهة العالم الإسلامي ، ونشر بدار الفكر ،وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين عام 1954م وهو من حجم متوسط وعدد صفحاته 173 ص.¹
- فكرة كومنوليث الإسلامي ونشر بمكتبة عمار بالقاهرة ، الطبعة الأولى عام 1960 م ونشرته أيضا دار الفكر الطبعة الثانية عام 1990م وهو من حجم متوسط وعدد صفحاته 94 ص
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن 20 ونشر بدار الفكر في كتاب واحد في بيروت ، عام 1977 وهو من حجم صغير وعدد صفحاته 62 ص
- في مهب المعركة ، وهي عبارة عن مجموعة مقالات مكتوبة من طرف المفكر مالك كتبها في باريس وفي نهاية الأربعينات وبداية الخمسينيات ، وحينها جاء إلى القاهرة عام 1956م وبدأ له أن يترجم هذه المقالات ونشرها باللغة العربية ، فكانت الطبعة الأولى عام 1961 وقد سمي هذه المقالات " في مهب المعركة "
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ونشر بدار الفكر عام 1969م، وهو من حجم متوسط وعدد صفحاته 127ص
- الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ونشر بدار الفكر بالقاهرة ، عام 1954 وهو من حجم متوسط وعدد صفحاته 266 ص
- مذكرات شاهد القرن ، ونشر بدار الفكر بيروت ، ويتكون من جزأين ، الجزء الأول بعنوان (الطفل) ، وقد ترجمه مروان الفتواتي عام 1969م والجزء الثاني بعنوان (الطالب) وقد ترجمه مالك بن نبي بنفسه عام 1970 وهو من حجم متوسط

¹ قرار صافية ، مرجع السابق ص 14

- المخطوطات توجد مجموعة من كتب غير منشورة لمالك وهي مازالت مخطوطة¹

5. مواقف مالك بن نبي من قضايا عصره:

➤ موقفه من سياسات و مطالب الحركة الوطنية .

➤ موقف بن نبي من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

مدح ابن نبي الشيخ ابن باديس في أكثر من موضوع في كتبه و أعجب مالك بن نبي بجمعية العلماء و أعضائها و جمعية العلماء أعجبت بالأستاذ مالك بن نبي فتحت جريدة البصائر و الشباب المسلم صفحاتها له فنشر فيها عدة مقالات : ووصفه احد أعضاء جمعية العلماء بأنه عبقرى من عباقرة العصر الحديث فبالرغم من هذا الإعجاب المتبادل نجد للأستاذ مالك موقفا من جمعية العلماء فقد اعتبر مشاركتهم في المؤتمر الإسلامي سنة 1936م حظا كبيرا لكي تبين ان العلماء لهم الفضل في حشد الآلاف من الجزائريين لأول مرة إذ حشد فرنسا خطر كبير ذلك التجنيد عليها و علمت ان العلماء هم الذين كانوا سببا فيه² ، فدبرت مكيدتها بقتل المفتي كحول و الأستاذ مالك لا ينكر قيمة فكرة المؤتمر و ما واجدته من تأثير لكنه ينكر على العلماء ان سلموا قيادة المؤتمر للسياسيين الذين لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية حيث اتخذوا المؤتمر سلما ليصعدوا عليه لتحقيق مبتغاهم .

➤ موقف بن نبي من الثورة التحريرية :

- الأستاذ مالك من اكبر المفكرين التزاما بقضايا الوطن و الثورة و يرى إن الثورة الجزائرية هي من ضع الشعب الجزائري كله و ليست من ضع طبقة خاصة أو نخبة³ , سافر ابن نبي من باريس إلى القاهرة و أرسل الوفد الخارجي للثورة لانخراط في صفوف حيث التحرير لمرض و كتابة تاريخ الثورة عن قرب فلم

¹ قرار صافية نفس المرجع ص 15

² ياسين عطوي ، المرجع السابق ص 15

³ ياسين عطوي ، المرجع السابق ص 17

يتلقى ابن نبي ردا من طرف الوفد الخارجي و في رأي ابن نبي إن الثورة تسير إلى الوراء و إن الكثير من البلدان و جدت نفسها بعد الثورة في وضع أسوء¹.

- اعتبر مالك ابن نبي ان الثورة المسلحة في الجزائر تجسيد لأفكار على ارض الواقع و خدمها من خلال برنامج صوت العرب بإذاعة القاهرة ، لقد نبه ابن نبي إن البناء الحضاري لأي امة إنما يتحقق من خلال قيام كل فرد بواجباته اتجاه المجتمع ، إذ سياسة المطالبة بالحقوق في المسار الحركة الوطنية قبل الفاتح من نوفمبر 1954 م .

لم يجني الشعب الجزائري منها إلا المراوغة و القمع و الدليل مجازر ماي 1945 م و ما إن تكافتت جهود جميع التيارات الفكرية و السياسية في مسار الثورة و جد الاستعمار نفسه مرغما على التراجع يوما بعد يوم إلى إن كان الاستقلال².

➤ موقف ابن نبي من مؤتمر الصومام :

- حسب رأي بن نبي إن هذا المؤتمر قد كرس الفرقة و التشتت لان بيان أول نوفمبر نص على وحدة القيادة و توحيد الصفوف بين مختلف التيارات ضيف إلى ذلك تهميش بعض الأطراف كمثل الوفد الخارجي و قيادة الغرب و الاوراس³ لم يعجبه ماحدث في مؤتمر الصومام . فيرى ان عبان رمضان وجوده كان سبب الفراغ الذي تركه مفجري الثورة⁴ ، فابن نبي كان متأكدا من عبان لأنه بالفعل متواطئا بتصرفاته المريبة ، حتى آخر لحظة من حياته من أجل الإجهاز على قيادة الثورة ، و أما مصالي في نظر مالك بن نبي أنه قام بدوره عن حسن نية رغم ان مخططه خدم الاستعمار و أن مدرسة مصالي كونت حفنة زعماء صغار قتلوه وانتهى به المر إن تنكر هو نفسه للثورة تكبرا ، قرأ مالك انه رغم عظمة

¹ ياسين عطوي ، المرجع السابق ص 18

² ياسين عطوي نفس المرجع ص 19

³ ياسين عطوي المرجع السابق ص 19

⁴ ياسين عطوي ، المرجع السابق ص 20

الثورة فإنها احتوت على أخطاء كبيرة جدا و عانت من غياب و رفض النقد الذاتي الذي يمكن النهضة من اليسر وفق المسالك السليمة.¹

6. الوظائف التي مارسها:

- يعد المفكر الجزائري مالك بن نبي احد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين و يمكن اعتباره امتدادا لابن خلدون و هو من أكثر المفكرين المعاصرين الذين نبهوا إلى ضرورة العناية بمشكلات الحضارة بعد تخرج مالك بن نبي سنة 1925 م سافر مع احد أصدقائه إلى فرنسا حيث كانت له تجربة فاشلة فعاد إلى مسقط رأسه و بعد عودته عمل في محكمة آفلو حيث وصلها في مارس 1927 م و من ثم انتقل من منصبه القضائي سنة 1928 م إثر نزاع مع كاتب فرنسي لدى المحكمة المانية ثم قام بالسفر إلى فرنسا سنة 1930 م محاولا الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية و في ذلك الوقت لم يسمح للجزائريين أمثاله بمزاولة هذه الدراسات فاضطر للتعديل في غاياته والتحق بمدرسة اللاسلكي للتخرج كمساعد مهندس كهربائي، استقر في فرنسا و تزوج من فرنسية ثم انتقل الى القاهرة هاربا من فرنسا بعد إعلان الثورة الجزائرية سنة 1954 م حظي في مصر باحترام كبير حيث عين مستشارا لمنظمة التعاون الإسلامي منصب سمح له بمواصلة الكتابة و إرسال المال ليعول زوجته في فرنسا عاد مالك بن نبي 1963 م للجزائر بعد استقلالها فعين مدير عام للتعليم العالي سنة 1964 م فقام بالمتابعة مع إلقاء المحاضرات و التأليف ، استقال من منصبه سنة 1967 م ليفرغ كليا للعمل الفكري و الإسلامي و التوجيهي².

¹ ياسين عطوي نفس المرجع ص 21
² موقع الانترنيت arm.wikipedia.org

الفصل الثالث :

شروط النهضة

الفصل الثالث :شروط النهضة

1. تعريف بالكتاب:

يعد مالك بن نبي من المفكرين الذين عنوا بمشاكل العالم الإسلامي وحاول أن يقدم لها حلولا ، حيث أنه أصدر جميع مؤلفاته تحت عنوان مشكلات الحضارة، منها كتاب شروط النهضة فهذا الكتاب بالرغم من ثغر حجمه حيث جاء في 171 صفحة إلا أنه قدم لنا عصارة من آراء وأفكار بن نبي الحضارية ، والذي صدر باللغة الفرنسية وترجمه إلى اللغة العربية كل من " عمر كامل مسقاوي " " عبد الصبور شاهين " واعتمدت نسخة الطبعة الثانية التي نقحت عن الطبعة الأولى حيث أضاف إليها فصلا يعالج أثر الفكرة الدينية في الدورة الحضارية ، أما رقم الطبعة فهي 14 الصادرة عن دار الفكر دمشق ، دار الفكر المعاصر بيروت سنة 1437 هجري / 2016م .

(تكون الكتاب من مقدمة وقسمين: القسم الأول الحاضر والتاريخ والقسم الثاني المستقبل الذي شمل عدة عناصر وهي الإنسان _ التراب _ الوقت _ الاستعمار والشعوب المستعمرة)
يتحدث الكتاب عن الشروط الأساسية للنهوض الحضاري ، وعناصر الحضارة ودور الفكرة الدينية في بناء الحضارة اي النهوض الحضاري.

ويحتوي كتاب شروط النهضة على مقدمين الطبعة الفرنسية والعربية ، وبابين حيث خصص الباب الأول الحاضر والتاريخ ووضح فيه دور الابطال في صناعة البطولات ودور السياسة والفكرة في إصلاح وإيقاظ الأمة من سباتها العميق إلى نهضة جديدة.

أما الباب الثاني بعنوان المستقبل فقد بين فيه العناصر الأساسية التي تقوم عليها الحضارة، وأثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة، وتحدث عن الاستعمار والشعوب المستعمرة، مستخدماً المنهج التحليلي الذي تمت الإشارة إليه في مقدمة الكتاب. ونوجز القول فنقول أن مالك بن نبي مفكر جزائري عنى بالعالم الإسلامي وبمشكلاته الحضارية وأصدر مؤلفاته تحت عنوان " مشكلات الحضارية " باحثاً في الأسباب ومحاولاً تقديم حلول لها منها الكتاب الذي فكرته الأساسية حول بناء الحضارة وعناصره.

2. مكانة كتاب شروط النهضة:

إن كتاب شروط النهضة قدم أسساً ومفاهيم أولية تساعد على إعادة بناء المجتمعات الآسيوية والإفريقية وخروجها من مزلق التخلف والتبعية .

ويؤكد فيه على فكرة الحضارة المنتجة المستقلة عن منتجات الحضارات الأخرى، فإن شراء كل منتجات حضارة أخرى مستحيل كما وكيفاً. وإنما يجب على العالم الإسلامي، ليركب حضارته في زمانه هذا، أن يرجع إلى صيغة اقتراحها لصناعة أي ناتج حضاري:

ناتج حضاري = إنسان + وقت + تراب (مادة)

3. الحاضر والتاريخ:

➤ دور السياسة والفكرة :

تسهم في خلق الظاهرة الاجتماعية، الكلمة التي يطلقها الإنسان وهي عامل من عوامل الاجتماعية. كانت كلمة جمال الدين كالمحراث ألقت وراءها بذوراً لفكرة بسيطة هي فكرة النهوض ومن آثار الكلمة أنها بعثت الحركة في كل مكان وكشفت الشعوب الإسلامية غطاءها فمأساة الجزائر مثلاً لم تكن رواية صامتة حتى ظهرت الفكرة الإصلاحية وليس الشك في أن التاريخ يرى في مثل هذه الظواهر خير شاهد على

رجوع الحاسة الاجتماعية. أما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد لا في ثورة شعب وفي قوة رجل لا في تكاتف مجتمع .

لقد بدأت معجزة البعث تتفق من كلمات (ابن باديس) فكانت ساعة اليقظة وبدأ الشعب المخدر يتحرك وهكذا استيقظ المعنى الجماعي وتحولت مناجاة الفرد إلى حديث الشعب وكانت الحكومة بطيئة في تكيفها مع الظروف الجديدة، ومن الواجب أن نذكر أن هذا الخمول الذي لم يكن في الإدارة الاستعمارية الشائخة هو السبب الأساسي للبلاء، لقد ظهرت النظريات الاجتماعية التي كانت يومئذ رائجة في سوق الأفكار، ظهرت هذه النظريات في أفكار الشباب المتطلعين إلى كل تجديد.¹

4. المستقبل:

من التأكيد إلى البناء لقد ظل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلا كأن لم يكن هدف فلم يلبث أن خرج من سباته العميق ولديه شعور بآلم، وبهذه الصحوه الخافته تبدأ بالنسبة للعالم الإسلامي حقبة تاريخية جديدة يطلق عليها النهضة ونقطة الانطلاق هي أن الخمسين عاما الماضية تفسر لنا الحالة الراهنة التي يوجد فيها العالم الإسلامي والتي يمكن أن تفسر بطريقتين متعارضتين :

فهي من ناحية : النتيجة الموافقة للجهود المبذولة طوال نصف قرن من الزمان من أجل النهضة ومن ناحية أخرى: النتيجة الخائبة لتطور استمر خلال هذه الحقبة دون أن تشترك الآراء في تحديد أهدافه واتجاهاته أن انعدام التنظيم واحتلال الاقتصاد أو السياسة في مناسبة أو أخرى، لكن ليس فيها تحليل منهجي اي دراسة مرضية للمجتمع الإسلامي، دراسة لا تدع مجالا لازم حول المرض الذي يتألم منه منذ قرون.

¹ مالك بن نبي مشكلة الحضارة ، شروط النهضة ص 24

ففي الوثائق نجد أن كل مصطلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنة فرأى جمال الدين أن المشكلة سياسة تحل بوسائل سياسية اما دين رآه محمد عبده ان المشكلة لا تحل الا بإصلاح العقيدة والوعظ ولقد نتج أنهم يعالجون المرض إنما يعالجون الأعراض.¹

5. الإنسان:

أن المشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، فالإنسانية لا تعاني مشكلة واحدة بل مشاكل متنوعة تبعا لمتنوع مراحل التاريخ .

فلا يمكن لنا أن نوازن في الوقت الحاضر بين رجل أوروبا المستعمر، ورجل العالم الإسلامي ففي بلجيكا مثلا : تنشأ مشكلة اجتماعية وهي مشكلة مضطربة ، حيث مشكلة الإنسان المستوطن الذي عزف عن حركة فالأمر يتعلق بالحاجات غير مشبعة الديناميكية مضطربة والأخرى تتعلق بعادات راقدة وضعت الفرد في حالة توازن خامد وخمول تما الذي خطت فيه الحضارة خطوات العماليق وعليه الأمر متصل بمشكلتين مختلفين في أساسها ففي بلاد مستعمرة بالجزائر نرى أنه ليس فيه طبقات، وإنما هنالك صنفان من الناس :

_ الصنف الأول: وهو الذي يسكن المدينة والنصف الثاني هو الذي يسكن البادية والفرق بين هذين الصنفين هو أن الحضر رجل قليل والثاني رجل الفطرة الذي يرضى من الأشياء بالعدم. لقد صار من الضروري أن نضع أمامنا المشكلة بأكملها، وأن نأخذ اعتبارنا على الاخص عنصرها الأساسي: الرجل، ويلزمنا أولا أن نفهم كيف يؤثر الإنسان في تركيب التاريخ الذي درسنا قانونه في الفصل السابق.

¹ شروط النهضة مرجع سابق ص 45

ومن الملاحظ أنه في القرن العشرين يؤثر الفرد في المجتمع بثلاث مؤثرات :

- أولاً بفكره.
- ثانياً بعمله.
- ثالثاً بماله.

6. توجيه الثقافة:

أن الثقافة عرفها مالم بن نبي " هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولى الوسط الذي ولد فيه ، والثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته " من خلال هذا التعريف نرى أن توجيه الثقافي متضمن الثقافة باعتبارها السلوك الاجتماعي للفرد كما أنها تعد « المحيط الذي يعكس حضارة معينة » ان وظيفة الحضارية للثقافة هي يجب أن توضح الحشو من ناحية ثم نوضح من ناحية أخرى معنى الثقافة ونعدها كالمشيء الذي يكيف الإنسان ويضع التاريخ، أي عندما نريد فهم وظيفة اجتماعية وتطبيقها في مجتمع معين .

7. توجيه الرأس المال:

لم يكن رأس المال في حد ذاته هو المشكلة التي تعرض لها كارل ماركس في آرائه عام 1848م ، وإنما كان تعرضه لنتائج الاجتماعية كرأسمالية.

فهو لم يدعي إلى تحديد رأس المال من حيث هو آلة اجتماعية ، وإنما هو آلة سياسية اما البلاد الإسلامية لا تواجه مشكلة الرأسمالية، لأن رأس المال نفسه لم يتكون في غالب تلك البلاد

يعتبر من العوامل المهمة في النهضة وهو توجيه رأس المال ، فالمال في البلدان المتقدمة اقتصاديا يكون على هيئة رأس المال لا على هيئة ثروة تزيد الطبقة في المجتمع بينما تشغيل رأس المال يحرك الدولة اقتصاديا و ينتقل بينالأفراد لا ينحصر في ملك فرد معين

8. التراب:

ينظر مالك بن نبي إلى التراب من وجهة نظر قيمته الاجتماعية فقيمه تسمو بسمو اصحابه وتدنو بدينهم، فإن كانت الحضارة متقدمة فترابها يصبح غالي الثمن ، وحيث تكون متخلفة يصير رخيصا يباع ويشترى وتتخلص العامل الثاني في استغلال الرشيد للثروات والمواد الأولية: كالبترول والغاز والذهب بالإضافة إلى التركيز على الثروة الزراعية

9. الوقت:

لخص مالك بن نبي إن أمتنا لا تعطي أية قيمة للوقت، مع أن تعاليم الدين مازالت تذكر بأهمية الوقت وتحض على استثماره، وبينما الدول المتقدمة تدفع المال لتوفر الوقت ، نرى أن أبناء الأمة يشتررون المال بالوقت ومن أسباب ذلك ولا شك الفقر الذي يسبب الخلل في العامل الثاني وهو استغلال ثروات الأرض، فلذلك يجب توعية الفرد منذ طفولته في المدرسة وحتى ينشأ ويكبر على أهمية الوقت وتقديره، فالوقت نهر صاحب ثمين يمر على رؤوس الناس ، يسمع صوته المقطون يغفل عنه الغافلون.

10. الاستعمار والشعوب المستعمرة ومعامل الاستعماري:

➤ قابلية الاستعمار:

يعتبر مالك بن نبي إن الحكومة ماهي إلا آلة اجتماعية مسيرة لوسط اجتماعي تتغير تبعاً للوسط الذي تعيش فيه ، فإن كان هذا الوسط نظيفاً حراً فحكومته من جنسه ، إما إذا كان الشعب يتصف بالقابلية للاستعمار فحكومته لابد وأن تكون حكومة مستعمرة .

قابلية الاستعمار عند مالك بن نبي تتمثل في عاملين كان لهما الأثر في الإنسان المستعمر وهذين العاملين هما: « العامل الاستعماري وقت باين الاستعمار »

العامل الاستعماري فهو الجهود التي يبذلها المستعمر لجعل المستعمر قابل للاستعمار، من حملات تجهيل وتغريب وإفقار وتسيب، وبما أنه انطلق في نظريته من دراسته للواقع الجزائري

فالتجربة الجزائرية حاضرة في خاطره، إذ أن المحتل الفرنسي كان أقل تقصراً وثقافة من البلد المحتل:

الجزائر ، فكان على المحتل حتى يروج ثقافته أن يحقق تفوق ثقافي فعمد إلى إفقار الشعب الجزائري وتجهيله حتى تركه ونسبة الأمية فيه بلغت 39% بالفكرة التي يلخص إليها الكاتب أن الغرب تحضر

بعدها استعمر، ولم يستعمر بعد تحضره أما الجزء الثاني من هذه النظرية وهو « معانا قابلية الاستعمار

» فيرى أن جهود المستعمر تثمر في الشعوب المستعمرة، فيستبطن الثاني ثقافة الأول، ويراعي حدوده التي خطها في نفسه، وتتطور القضية من تبنيه لثقافته إلى مدافعتة عنها، حتى تصل إلى رفضه

للمصلحين ودعاة الفضيلة ، إذا فالعامل الثاني هو عامل داخلي يستجيب للعامل الأول وهو العامل الخارجي المتمثل بالاستعمار.

ولكن تلك الفكرة يتم استعمالها في غير مراد الكاتب في واقعنا المعاصر ، فقرها اناس على أنها دعوة إلى الرضوخ للمستعمر ، والتركيز باللوم على مجتمعاتنا ، والتسوية بسن صاحب الحق وسالبه ، وبين الظالم بتماديه في الظلم ، ويحجبوا النظر عن القوة الضاربة التي تضرب بها كل حركة النهضة في مجتمعاتنا

➤ مشكلة التكيف:

تخضع الحياة لقانون (رد الفعل) ، كما تخضع لها الميكانيكا وبما أن الاستعمار في نوعه هو (فعل) المدنية الحاضرة ، تسلطت به الشعوب المستعمرة ، فلا غرابة إذن أن يكون لذلك الفعل في تلك الشعوب(رد)

ان علم البيولوجي وعلم الاجتماع يعرفان هذا الرد بأنه: اتجاه الفرد ونزوعه إلى التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه

أن تعددت الوجهات دليلا على درجات متعددة من التكيف مع مجرى الحضارة أن من الواجب الا توقفنا اخطاؤنا عن السير نحو الحضارة الأصلية، توقفنا خشية السخرية أو الكوارث ، فإن الحياة تدعونا أن نسير دائما إلى أمام، إنما لا يجوز لنا أن يظل سيرنا نحو الحضارة فوضويا، يستغله الرجل الوحيد أو يظله الشي الوحيد خلافة وليست الشيء الوحيد ، بل هي جوهر ينتظم جميع اشياؤها وافكارها وروحها ومظاهرها، وقطب يتجه نحو تاريخ الإنسانية وإن قضيتنا مفرطة بذلك التركيب الذي من شأنه إزالة التناقضات والمفارقات المنتشرة في مجتمعنا اليوم، وذلك بتخطيط ثقافة شاملة يحملها الغني والفقير ، والجاهل والعالم ، حتى يتم للانفس (استقرارها وانسجامها مع مجتمعها)ذلك المجتمع الذي سوف يكون قد استوى على توازنه الجديد.

➤ كومنويلث الاسلامي:

طرح هذا الكتاب مشروع في غاية الأهمية بوصفه نواة للعلاقات الفكرية الذي خطَّ في نهاية الخمسينيات حيث كانت الانقسامات الحادة والتناقضات في أوجها علي سطح المجتمع الواحد إضافة إلي الشعارات التي تنوه فكر النخبة والجيل الصاعد فتوزعه لتيارات... فكانت هاته الدراسة كإشارات في ضباب ذلك الزمن... يري المؤلف مالك بن نبي إن فكرة الكومنويلث الإسلامي هي المخرج من العجز والتخلف الحضاري والاجتماعي للعالم الإسلامي الذي مزق لدول ضعيفة في مقابل عالم متكامل في تحالفات ضخمة قوية اقتصاديا وعسكريا وحضاريا.

يري المسلم نفسه متخلفا في العلوم والاجتماع والاقتصاد، وهو لا ينتمي إلي منطقة جغرافية سياسية محددة، ويرى إن تطور العالم قد سبقه، وأنه لم يعد فاعلا في التاريخ والحضارة. مع انه كان في حقبة من التاريخ غير ذلك، وعقيدته الوسطية الحضارية تؤهله ليكون صاحب رسالة للعالمين... لهذا فالمسلم يجد إن التغيير لا يحدث إلا بثورة تحافظ علي خصائصه النفسية والاجتماعية...

هذا وفي حال غياب قيادة حكيمة ترسم له خطته، يري نفسه مندفعاً من اجل ان يلحق بالتطور العالمي إلي ثورة تأتيه من الخارج، ثورة لن يكون قادرا علي التحكم فيها، ولكن التخطيط للعالم الإسلامي يصطدم بأنه مكون من عوالم متعددة افريقية وفارسية، وعربية، هندية، صينية، اندونيسية، ورغم انسجامه الروحي إلا انه متشعب دنيويا.

لهذا يري المؤلف إن انتظام هذا العالم في كومنويلث إسلامي ينجح إذا ما راعي أوضاعه الخاصة، واتكأ علي منظمة المؤتمر الإسلامي كجهاز فدرالي إداري، ويمكن الروابط الاقتصادية و القومية علي ضوء مهمة أساسية هي بناء كمنويلث إسلامي في العالم...

ضم الكتاب 3 أقسام:

➤ القسم الأول:

(أ) - مشروع دراسة شاملة.

(ب) - دراسة متكاملة ،سلط الضوء هنا علي أولية المعيار الاجتماعي، التقليد والتمثل، فوضي الأشياء والأفكار، الي الاضطراب، إضافة إلي الأسباب الجغرافية السياسية، الفنية فالنفسية.

➤ القسم الثاني: فجاء معنون بقيمة الفكرة في المجتمع الإسلامي تكلم فيه عن ضعف أساسنا

المفاهيمي.. الفكرة ومراقب الاستعمار، وصولا للفعالية في المجتمع الإسلامي...

➤ القسم الثالث : وظيفة الكومنويلث إسلامي... استعرض فيه مناطق الحضور، تبعية

المشاكل، الشهادة، الرسالة، المثال البريطاني، نوعية المشاكل

وبرز مالك بن نبي في كتابه كومنويلث الإسلامي أفكار العامة بخصوص أشباه كيان يجمع الأمة من جديد على فكرة واحدة ويساهم في حل مشاكلها المشتركة وإعادة مجدها من جديد لم يحدد بدقة هيكله التي يجب أن يكن عليها كومنويلث الإسلامي نظرا الايمانه بأن الجانب العملي لهذا المشروع يجب أن تعكف عليه مراكز الدراسات وأبحاث متخصصة لتضعه في صورته النهائية واكتفى بطرح الدوافع والأسباب والطرق التي تمكن من تشغيل هذه الفكرة وجعلها قابلة للتطبيق يتميز العالم الإسلامي من وجهة نظر مفكرنا بوحدته الروحية لكن هذه الوحدة تتضمن في طياتها عوالم هي :

✓ العالم الإسلامي الإفريقي والأسود

✓ العالم الإسلامي العربي

✓ العالم الإسلامي الاوروبي

✓ العالم الإسلامي الإيراني

✓ العالم الإسلامي المالاوي

✓ العالم الإسلامي الصيني والمنغولي

وفي الأخير نقول ان فكرة كومونيلث الإسلامي تتمثل في فكرة الإسلام وتشخص في مجمع دائم والنقر الرسمي لهذا المجمع يجب أن يكون ذات الوقت والوحدة القاعدية التي تصل بأجزاء هذا الكومونيلث وتقرر في ما بينها ما يتعلق بشؤونها الإسلامية العامة.

الفصل الرابع:

الانتقال الحضاري لمالك بن نبي

الفصل الرابع: الانتقال الحضاري لمالك بن نبي

1. مفهوم الحضارة:

• لغة: حضر فلان حضارة أقام في الحضر

تحضر حضر وتخلق بأخلاق أهل الحضر وعاداتهم ومنها قوله تعالى: (وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) فالحضارة خلاف البادية وهي المدن والقرى والريف الحضارة، الإقامة في الحضر ضد البداوة وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي في الحضر.¹

• اصطلاحاً: وضع مفهوماً للحضارة في معجم الأنتولوجيا و الأنتربولوجيا مفاده إن الحضارة مرحلة معينة من التطور أي مجمل المكتسبات التقنية والاجتماعية والفكرية التي أتاح التقدم المتواصل للفكر تكديسها.²

من المفهوم نتوصل إلى أن الحضارة هي نقطة النهاية أو الغاية التي يسعى للوصول إليها الفرد و المجتمع لابد له أن يمر بالعديد من المراحل كون الحضارة احدي مراحل التطور كما أن هذا التطور الحضاري يتحقق بامتلاك المجتمع للجوانب المادية والمعنوية على تنوعها وتعددتها لكن مجرد الامتلاك لا يعني تحضراً فلا بد من الامتلاك والسهر على تطويرها والرقي بها في كل المستويات وحتى يتحقق هذا الرقي لمختلف الجوانب المادية المكتسبات التقنية والاجتماعية، الجوانب المعنوية، المكتسبات الفكرية لابد أن يكون للجماعة فكرياً متقدماً خصباً يعمل باستمرار يبحث عن البديل كما يسعى للوصول إلى الكمال وبالتالي يمكن القول أن الفكر يتيح لصاحبه التقدم حضارياً.

¹ بتول أحمد جناريه، على عتبة الحضارة ، بحث في سنن و عوامل التخلق و الانهيار، سوريا دار الملتقى ط 1 2011 ص 20

² محمد سعيد رمضان بوطي منهج الحضارة الانسانية في القرآن، دمشق دار الفكر، ط2 ص 19

حيث عرف ابن خلدون الحضارة (بأنها نمط من الحياة المستقرة بشتى القرى والأمصار ويضفي على الحياة أصحابه فنونا منتظمة من العيش والعمل والصناعة وإدارة شؤون الحياة وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية)

إنما الحضارة مبنية على ثلاث أسس وهي معتمدة ليومنا هذا والتي اصطلح عليها العلماء ان الحضارة لا تقوم إلا بأسس التالية:

✓ الاستقرار

✓ النظام

✓ التعاون

2. مقارنة مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وغيره من العلماء :

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي عرفها من عدة جوانب وهي :

✓ الجانب الأولى : الحضارة باعتبار جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة (فالثقافة

في جوهرها الحضارة لان لان كل واقع اجتماعي هو في أصله ثقافية خرجت إلى خبر التنفيذ

✓ الجانب الثاني : يعرفها بأنها (إنتاج فكرة حية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر

الدقة التي تجعله يدخل التاريخ ويبنى هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي

(اختاره)

✓ الجانب الثالث : والذي يعرفها من خلال عناصرها الثلاث (الإنسان - التراب - الزمن)والذي

يعمل على تماسكها

✓ الجانب الرابع : الحضارة باعتبار وظيفتها فهي من هذا الجانب يعرفها بأنها (جملة العوامل التي

تتيح لمجتمع أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه . وعليه

فالمقياس العام للحضارة هي تد منتجات فشاء منتجات الحضارة أما تحصيل لهياكلها وجسدها لا روحها.

• في تاريخ المعرفة:

مفهوم الحضارة عند إدوارد تايلور: بأن الحضارة هي درجة من التقدم الثقافي تكون فيها الفنون والعلوم والحياة السياسية في درجة متقدمة ، أي أن الحضارة ، في نظر هذا العالم مرتبط بالتاريخ الثقافي . إذ يتحقق خصوصا عندما يبلغ تطور أشكال المعرفة والثقافة مستوى راقيا من التقدم والتبلور والنضج

✓ ألبرت شفيتر حدد في كتابه " فلسفة الحضارة " هي : أن العناصر الجمالية والانتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا، كل هذا ليكون جوهر الحضارة ، وإنما يتوقف هذا الجوهر على استعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة وإن الحضارة هي التقدم الروحي للأفراد والجمهير على السواء

وهناك عدة نظريات حول الحضارات وأسباب نشوئها ومن أهمها:

✓ نظرية فيجر (vigor) : تتحدث هذه النظرية عن وجود ثلاثة عصور تمر بها الحضارة أثناء مراحل تطورها وهذه العصور هي : عصر الأهله وعصر البطولة وعصر الناس وقد حدد فيجر أن هذه العناصر تشترك فيها الحضارات أثناء نشوئها ونموها.

✓ نظرية شبينجلير (sehpingler) : تحدث الفيلسوف الألماني شبينجلير عن الحضارة في كتابه انحلال الغرب ، حيث ذكر كالكائن الحي الذي يمر بمراحل مختلفة في حياته من طفولة، وشباب، ونضوج، وشيوخة

✓ نظرية توينبي (twinby arnoled) : تحدث الفيلسوف الانجليزي توينبي عن الحضارة في

كتابه دراسة التاريخ ، حيث يرى أن نشوء الحضارة عائد إلى استجابة الإنسان لتحديات

الطبيعة.

3. الدورة الحضارية :

لدوري بحث ، وهذا في نظره يجعل الأمة في فتراتنا تسجل لنا في تاريخها مآثر عظيمة ، إلا أنها تبقى

خالدة في سجل تاريخها وتاريخ البشرية ، كما تسجل عليها فترات أخرى انتكاسات وهزائم حضارية

وعمرانية وعسكرية

ومن هنا يرى مالك بن نبي أن هذا قانون طبيعي جدا ، لأنه خاضع لنفس النواميس التي تخضع لها باقي

مخلوقات الله في الكون ، مثلا : اليوم يبدأ بالشروق والزوال ويتبعه الغروب الذي يسدل الظلام على

الكون ، ومن هذا يقول مالك بن نبي : " إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية ، فإننا نرى الحضارة

تسير الشمس ، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر "

ولا يعني هنا أن التاريخ يفرق هداياه ، أو يوزع أمجاده كما تنتشر الشمس اشعتها عندما تأذن بالشروق ،

بل التاريخ هو كتلة من السنن والنواميس الإلهية التي تتحكم في توجيه الأفراد والمجتمعات على السواء

إذ لا بد من استيعابها والسير على هداها ، وأما عن الذين لا يحترمونها ولا يستوعبون عبرها ومراميتها ،

فإن حركتهم تكون حركة مضطربة لا يحكمها ضابط ولا هدف.

ولكي يخرج المسلمون مما عليهم الآن من سبات حضاري يجب عليهم أن يستوعبوا سنن الله الثابتة في

الكون التي يخضع لها الأفراد والجماعات ، من أجل هذا الاستيعاب تكون حركتهم حركة ثابتة وهادفة لا

تبقى حركة عشوائية تحكمها الصدفة ، وتوجهها الأهواء الفردية والنزوات الشخصية.

وعند ابن خلدون يرى ابن خلدون أن حياة الدول والشعوب تمر بفترات ومراحل قلما تختلف، حيث تنتقل من طور البداوة والتوحش إلى حياة البذخ والترف ورقة العيش، لتصل في نهاية المطاف إلى سن الشيخوخة والهزم ثم الفناء، وهي تتشابه في ذلك مع الأطوار التي تعرفها حياة أي فرد من النوع الإنساني، بدءاً من فترة الطفولة والشباب، إلى الكهولة والشدة، ثم الشيخوخة والهزم.

وحسب رأي ابن خلدون فإن المراحل المذكورة طبيعة في الدول والأمم كما هي طبيعة في الأفراد. وهو إذ يصنف تاريخ الدول والمجتمعات إلى ما ذكرنا من المراحل فإنه يعتمد على عنصرين مهمين:

الأول منهما: بناء على ما جاء في القرآن الكريم من الشواهد والأدلة التي تعزز ما ذهب إليه وقرره.

الثاني: بناء على تجارب الحياة، وتواريخ الأمم التي قلما تحيد عن هذا المقياس. هذا وقد رأينا تناول كل مرحلة بالتفصيل، مشيراً إلى مظاهرها وأوصافها، فكان لزاماً لننظر فيها علينا بعين التأمل والبصيرة ونتأكد من صدق وحقيقة ما يقول.

أولاً: أما المرحلة الأولى فيصنفها بقوله: (لأن الجيل الأول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم، فحسهم مرهف، وجانبهم مرهوب، والناس لهم مغلوبون)¹

ثانياً: أما المرحلة الثانية، أو الجيل الثاني، على حد تعبيره فيصنفه بما يلي: والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحدة، وكسل الباقيين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة، فتتكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانة والخضوع، ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول، وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم، وسعيهم إلى المجد، ومراميمهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم

¹ خير الدين زركلي بن محمود، كتاب الامم الطبعة 15، دار العلم للملايين عام 2002 ص 3

ذلك بالكلية، وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم.¹

ثالثاً : ثم تأتي مرحلة الجيل الثالث الذي يعرف بجملة من الأوصاف لا تحمد عاقبة أصحابها، لكونهم ينسون تماماً خصال الشجاعة والبأس ويستكينون إلى رغد العيش، ويتخلون عن واجباتهم في الدفاع عن بيضتهم، وفيهم يقول : وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة، كأن لم تكن ويتقدون حلوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم وغضارة العيش، فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي، وركوب الخيل وحسن الثقافة، ويموهون بها . فإن جاءهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورهم . فإن جاءهم المطالب لهم، لم يقاموا مدافعة، فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكثر بالموالي، ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حين يأذن الله بانقراضها».²

ويجزم العلامة ابن خلدون بصحة هذه النظرية، وعمومها في الغالب من الأحوال على الأمم والدول، فهو يذكر ذلك وبكل ثقة، ومستنده التجربة والعلم بأحوال الأمم الماضية، وبعلم القرآن، وقصص الأولين ممن نكرهم الله فيه فيقول : فهذه كما تراه ثلاثة أجيال، فيها يكون هرم الدولة وتخلفها ..وهذه الأجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر، ولا تعدوا الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله أو بعده³ ثم يضيف ابن خلدون، دليلاً من القرآن يؤيد به نظريته، وهو قوله تعالى:

(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) سورة النحل.

¹ الوافي ، علي عبد الواحد ، مقدمة ابن خلدون، ط 6 ، دار النهضة مصر 2012 ص 27
² شابة محمد، الحضارة الإسلامية (اسباب الانحطاط و الحاجة الى الإصلاح، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 2012 ص 161)
³ الجوهري محمد يوسف محسن، ابن خلدون انجاز فكري متجدد ، مكتبة الاسكندرية ، 2008 ص 20-21

4. مقومات الحضارة:

تتطلع النفوس في العالم الإسلامي للنهضة ، ولكن بسبب الهوة الكبيرة بين قيم الفكر الإسلامي، وواقع المجتمع الإسلامي، فإن كثيرا من القيم خضعت لتأثيرات غربية منافية لروح التوجه في هذه البلاد ، فالنهضة ليست نقل الأساليب والطرق الأجنبية لمجرد نجاحها في بلد منشأ، والسير على نهجها في بلادنا الإسلامية، لأن هذا يعتبر ضلالا عن الطريق ليس بعده ضلال فكل مجتمع أداوته وأساليبه التي يعتمد عليها في بناء حضارته . بالحلول الفنية ينبغي إذن أن تتكيف مع نفسية البلد الذي تطبق فيه ومع مرحلة تطوره .

✓ مفهوم التغيير:

لبناء حضارة متينة على قواعد راسخة وجب أولا لا تغير الفرد نفسه والذي يؤثر في الواقع الاجتماعي . رأي مالك فإنه: " لتحقيق التغيير لابد من تغييرين، تغيير القوم ، كما لابد من أسبقية التغيير الذي يحدثه القوم ، إلا أن بين هذين التغييرين ترابا فإذا وقع التغيير الذي يخلفه الله ، دل ذلك قطعا على أن التغيير الذي يقوم به القوم، قد سبق أن حدث ، لأن الله تعالى اشترط هذه الأسبقية ولكن علينا أن ننتبه إلى أن هذا التعهد إنما هو مجال القوم لا في مجال الفرد "

وما يرسخ هذا القول هو قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فالآية هنا تشمل كل الناس لأنها جاءت بكلمة (قوم) دون تخصيص لقوم معين .

فالمشكلة هي مشكلة الفرد يعيش في مجتمع، لا مشكلة دين وهي مشكلة عامة في جميع البلاد الإسلامية فلكي تبدأ عجلة التغيير في الدوران لابد من معرفة سنن للتغيير لما بالأنفس، وكذلك معرفة ما ينبغي أن نغيره بالإضافة إلى معرفة الأشخاص الذين يجب محاولة تغييرهم باختلاف شخصياتهم وبيئاتهم لأنهم يشتركون في أصل البلاء

الحضارة يجب أن تشمل مقومين أساسين أولهما: التعليم بشرط أن يكون مبنيا على أساس الحاجات، وليس المفروض في قوالب غير قابلة للتطبيق وتؤدي إلى تعجيز الذات والعقل بدل من استنهاضهما. والقضية الثانية مرتبطة بالتشريعات الأخلاقية اللازمة لاستمرار الذات الإنسانية واحترامها.

✓ من التكديس إلى البناء :

إن العالم الإسلامي بدأ يتجه إلى جمع الأكوام من المنتجات الحضارية أكثر من اتجاهاه إلى بناء حضارة وهو ما يسمى بالتكديس فينتهي بنا الأمر إلى ما أسماه مالك بالحضارة الشئئية. أي أن التكديس لا يعني البناء لأن البناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة التي تكون منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكون الحضارة.

وقد يتساءل شخص ما الذي نأخذه من الحضارة الغربية؟ وللإجابة على ذلك يقول مالك: "إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا... حتى يأتي يوم نستطيع بيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا".

من جهة أخرى يعتمد بعض المفكرين الإسلاميين على إبراز عوامل القوة الحضارية في الإسلام من خلال التركيز على السلبيات في المجتمعات الغربية التي أهملت الأخلاق من وجهة نظرهم، وانغمست في ملذات الحياة.

✓ دور الأفكار في البناء الحضاري:

يولي مالك بن نبي أهمية كبيرة للأفكار وتأثيرها على الفرد والمجتمع وبناء الحضارات فالفكر ركيزة هامة في حياة الشعوب، وهو دليل على حيويتها وتقدمها أو على العكس دليل على جمودها وتخلفها لأن نتاج العقل البشري الذي خلقه الله لهذه الغاية فالنجاح الفكري وسيلة للقضاء على الأفكار الميتة لأن "تصفية الأفكار الميتة وتنقية الأفكار الميتة يعيدان الأساس الأول لأية نهضة حقه".

وكذلك فإن انحراف الأفكار عن مجراها بالنسبة للأفكار الجوهرية تبين لنا مقدار عدم فعالية المجتمع مما يؤدي إلى الزيغ من جيل إلى جيل عن طريق الامتصاص وتعتبر الأفكار في هذه الحالة هي الجرائم التي تكون كالعوى الاجتماعية لنقل الأمراض. فينعكس المرض على المجتمع، وأحياناً قد يحدث انعكاس الفكرة المردودة فيعود ذلك بالخير بسبب اكتشاف بطلانها.

ولذلك رأى مالك الاستعمار دائماً يحاول القضاء على الأفكار البناءة التي تؤدي إلى وعي الشعب بمخاطر وجود الاستعمار مما يهدد هذا الكيان الاستعماري.

أن استنهاض الحضارة العربية لن يتحقق إلا بإطلاق العقل العربي من خلال العلم والتعليم من أجل الوصول إلى مقومات حضارية تضمن استمرارها، ومن أهمها البعد عن استجلاب قوالب جاهزة والتي منها العيش في التراث القديم القائل برفض التغيير في المقال الديني، ووقف محاربة كل محاولات تحرير الفكر الديني. إن الرافضين للفكر الديني بشكل مطلق يكررون أخطاء الداعيين للعيش في التراث وذلك لأن الإسلام بكل ما فيه من تفاصيل كان جزء مؤسس من الحضارة، وليس هامشياً كما هو مع الديانات الأخرى هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإسلام كان شعاراً لبعض الإمبراطوريات التي مرت على الحضارة ومنها الإمبراطورية العثمانية، وإن كان عليها الكثير من الملاحظات إلا إنها كانت تمارس المدنية في بعض فترات نشأتها مما يعني أن الإشكالية لم تكن بالدين بقدر ما كانت بمن يستخدمونه. لولا بقينا الدين بعيد عن التنافر السياسي لتحققت المصالحة بين الدين والدولة المدنية.

✓ مفهوم الفعالية:

يرى مالك بن نبي أن الفعالية تعد إحدى خصائص العقل الغربي. والعقل الغربي يخضع لمبدأ الفعالية كما يرى أن الفعالية تكون على المستوى الفردي والاجتماعي. فالفعالية على المستوى الاجتماعي تعني القدرة على توليد ديناميكا اجتماعية وذلك بالدخول في تخطيط منهجي لا يحتوي خليطاً من الأفكار المتناقضة إن ما يفصل المجتمعات في هذا القرن هو مدى فعاليتها التي تتفاوت درجاتها من مجتمع إلى آخر، فأصبح عنصراً أساسياً في فلسفة العصر، التي تعني بتقدير الكم. حتى أن التقدم أو التأخر الحضاري يمكن أن يلاحظه الإنسان من خلال ملاحظة عامل الفعالية أي أنه بوسعنا "أن ندرس حضارة ما، بملاحظة الطريقة التي يتبعها الإنسان ليتفاعل مع بيئته"

ليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها، وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي. فصناعة حضارة بقدر ما تحتاج إلى أفكار سليمة، فإنها تحتاج إلى فعالية في إنجازها، والأهم اليوم في زمن العولمة والمادية الطاغية على اهتمامات لناس تقاس درجة تحضرها بقدر ما تملك من فعالية في أدائها.

5. تعريف الدوري الحضاري عند بن نبي :

يرى بن نبي من الدورات الحضارية قانون طبيعي وسنة من سنن الحياة وقد انطلق في تعريفه لدورة الحضارية من مقولة الفيلسوف الألماني فريدريك ننتشه والتي استهل بها إحدى فصول كتابه شروط النهضة حيث يقول : " انه من السنن الأزلية أن يعيد التاريخ نفسه كما تعيد الشمس كرتها من نقطة الانقلاب¹ فقد شبه تاريخ الحضارات بالشمس التي كل يوم تعيد إشرافاتها من نفس النقطة ، فالقانون الدوري الحضاري عند بن نبي هو قانون طبيعي .

¹ مالك بن نبي ، شروط النهضة مصدر سابق ص 52

ويرى أن الحضارات لأنه لا يخضع لنفس الآليات التي تخضع لها الكائنات أو المخلوقات في الكون ، كالهلال الذي يبيغ ثم يستكمل تدريجيا دورته ثم ينتهي بعد ذلك بالزوال ثم يبدأ أشهر جديدة في إطار سلسلة دورية مستمرة ، وما يؤكد في قول : «إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس ، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب ، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر وهيئات أن تقف فان الأقدار لتلبث إن تقود الحضارة إلى حيث أن قدر الله لها السير من الدور إلى دور ومن فجر إلى فجر » بمعنى أن عجلة التاريخ الحضاري في دوران مستمر¹ غير منقطع ، وكل دورة منه له مميزاتها ، وكالشمس في إشراقها وغروبها ، أي في قوتها وضعفها وظهورها وتلاشيها ، فالحضارات كلها لها عمرها وحضها وخاصيتها ، ولها من الوقت ما يكفي لأداء وظيفتها الحضارية فالحضارة لها عمر محدود ، وحيث تنتقل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة .

ويعتبر بن نبي أن كل حضارة إنسانية في تطورها تمر بمراحل مثل المراحل العمرية لدى الإنسان من طفولة وصبي وشباب ، ثم تتبعها الشيخوخة فالموت ، فكل وحدة منها تشهد بداية حيث تكون في أوج قوتها وتقدمها سواء على الصعيد الروحي أو المادي ، ثم تبدأ في التراجع والتخلف لتشهد نهايتها . حيث يقول : «يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما ، كي يتجمد من نقطة جديدة » أي عندما تسقط الحضارة في مجتمع ما وتتهار مبادئها سوف تقوم الحضارة في نطاق آخر غير الأول فالحضارة تنتقل بقيمتها إلى مكان جديد ، وبذلك تبدأ دورة جديدة ، وذلك إلى أن تتقضي البشرية .

ويرى أن: « كل دورة حضارية عبارة عن وحدات متشابهة ولكن ليست متماثلة » بمعنى متشابهة في الصيرورة ومختلفة في الخصائص فكل دورة لها مميزات معينة ونواميس تسير عليها ، وأيضا يقصد أنها ليست متماثلة اي ان كل دورة لا تعيد نفسها بنفس الخصائص دائما ، فالتاريخ عند بن نبي ليسير في

¹ مالك بن نبي ، المسلم ورسائله في ثلث الاخير من قرن 20 ، ترجمة عمر سقاوي ، دمشق ، عالم الفكر ، ط 1 ص 18

حتمية مطلقة، بمعنى أنه في كل دورة يسعى الإنسان إلى التغيير والتجديد ، وتقادي الوقوع في نفس

أخطاء الماضي (دورة سابقة) وهنا تبرز فعالية الإنسان

ويضرب على ذلك مثال الجاذبية حيث يرى أن الجاذبية قانون لطالما قيد العقل بحتمية التثقل برا وبحرا،

ولم يتلخص الإنسان بإلغاء هذا القانون ولكن بالتصرف مع شروطه الأثرية، وبوسائل جديدة تجعله يعبر

القارات والفضاء كما يفعل اليوم (مواجهة وفعالية الإنسان في واقعة) حيث يقول في هذا : فإذا إفادتنا

هذه التجربة شيئا ، فإنما تفيد بأن القانون في الطبيعة لا ينضب أمان الإنسان الدائب استحالة مطلقة ،

وإنما يواجه بنوع من التحدي يفرض عليه اجتهاد جديد من سببية ضيقة النطاق بمعنى أن الإنسان الفعال

في حضارته هو من يستطيع أن يغيروا ويجدد في واقعه ويكيفه حسب المتطلبات والمقتضيات ، وكل ذلك

يكون بتفجير مستمر وعمل دءوب، فالعمل المتواصل والعقل المفكر تفكيرا منطقيا وفاعلا هو الذي

يسيطر على الطبيعة ويكيفها حسب مقتضياته.

ويرى ان « قانون الدورة المحدد بالشروط الزمنية ، والنفسية خاصة بمجتمع عادي معين ، فهي حضارة

بهذه الشروط»¹ بمعنى أن المجتمعات التي تتميز بالفاعلية وتمثل دورها حضاري وفق أسس فعالة،

تفرض وجودها على الساحة الحضارية والمجتمعات التي تتميز بالضعف والاستكانة ولا تقوم بدورها

بالتمية الحضارة لمجتمعها تسقط وتضمحل. فكما يرى مالك بن نبي « إن التاريخ ليس ما تصنعه

الصدف ولا مكائد الاستعمار ولكن ما تصنعه الشعوب بذاتها في أوطانها » بمعنى أن التاريخ هو

مجهود ذاتي فعال منسجم مع العناصر الحضارية ومحاورها ويعبر عن مجهودات جبارة من ذات تسعى

للتحضر، نفث غبار التخلف عنها.

¹ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مصدر سابق ص 164

6. منطلقات ومرجعيات بن نبي في إرساء قواعد الدور الحضاري :

أن أي مفكر أو باحث لا ينطلق في بلورة فكرته من فراغ علمي وإنما يستند في ذلك للعديد من الأسس والمرجعيات التي سبقته فتكون منها الانطلاقة ولكن بالتعديل و الإتيان بالتجديد وقد مارس مالك بن نبي التحليل لدراسة السابقة عن الحضارة وقد قرأ مقدمة بن خلدون وعمره لم يتجاوز العشرين فقد بلي مضمونها راسخا في ذهنه طول حياته فابن خلدون يرى أن المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من جراء الصراع بين البدو والحضر ويرى أن المجتمعات تمر في تطورها وتقدمها بثلاث مراحل، ففي المرحلة الأولى تعيش عينة البدو في الصحاري والقفار كالعرب والبربر أيام ابن خلدون في المغرب والمرحلة الثانية تعمل على تأسيس الدولة حيث تسود القوانين وتسكن المدن وفي المرحلة الثالثة توول تالي حالة الحضر ثم تنتهي إلى الترف والملذات من العيش حيث يدركها الاضمحلال وينالها الزوال .¹ بمعنى أن الدورة الحضارية في رأي ابن خلدون محتومة لا مفر منها والدول جميعا تخضع لها فليس هناك دولة تبقى إلى الأبد قوية ليغلب عليها غالب فكل لها عمر كعمر الأفراد تبدأ مزدهرة ثم تهزم وتموت.

ولقد اعترف بن نبي بفضل ابن خلدون في استنباط فكرة في الدور الحضاري وذلك في قوله « كان بن خلدون وحده من استنبط فكرة الدورة الحضارية عن الأجيال الثلاثة فإنها تدفعنا إلى تأكيد الجانب الانتقالي في الحضارة إي إننا لا نرى فيها سوى تعاقب ظواهر عضوية ولكل منها بداية ونهاية وتأتي أهمية هذه النظرة من أنها تتيح لنا الوقوف على عوامل التقهقر والانحطاط» فلقد أقر بن نبي بهذه الفكرة واعتمد فيها على حدي الميلاد والأفول في الحضارة .

إن مميزات مراحل الدورة الحضارية عند بن نبي تبدأ أولا بالإشعاع الديني ،وعندما يبتعد الإنسان عن فاعلية الدينية ويسعى وراء العلوم والماديات تبدأ بوادر الحضارية بالظهور .

¹ أحمد الباسني مدخل الى فكر مالك بن نبي، ط1 2014 ص 44

بفضل تحدي الإنسان لظروفه واستجابته للبيئة التي تصنع الحضارة حيث يكيفها ولقد تعرض بن نبي لهذه الفكرة التحدي والاستجابة وناقشها بصورة نقدية في كتابه "شروط النهضة" وميلاد المجتمع بحيث صاغها صياغة جديدة وفي ضوء القرآن الكريم ، وإذ تمثل العوامل النفسية عنصر التحدي عوضا للعوامل الجغرافية والاقتصادية والقوة الروحية تشكل عنصر الاستجابة،

ركز بن نبي كثيرا في الجانب الديني في تفسير سير الحضارات فكل حضارة يستلزم قيامها روحا دينية ، حيث يقول في كتابه التحديات الكبرى: «أوافق كل الموافقة على أن الدين كان مصدر الحيوية التي أدت إلى وجود الحضارات والحافظ على وجودها» فالإيمان الديني هو القوة الروحية التي أنجحت كل المنجزات الحضارية .

ويرى أن الدين يبعث الرضا الروحي في الأمور الغامضة المتعلقة بسير الكون، وكذلك إعطاء الناس سلوكا عمليا المتعايش في هذا الكون وبالابتعاد عن الدين تنحل الروابط الاجتماعية وتسقط الحضارة حيث يقول : في كل مرة فقد الناس إيمانهم بدينهم خضعت حضارتهم للتفكيك الاجتماعي الداخلي ، والهجوم العسكري الأجنبي بمعنى أن سبب سقوط الحضارات وأقولها أن البعد عن الدين الذي هو أساس كل قيام حضاري وهذا ما ذهب إليه بن نبي إن تفكك شبكة العلاقات الاجتماعية هو نتيجة غياب الفعالية الدينية¹.

7. خصائص الدوري الحضاري:

بعد أن حددنا مفهوم الدورة الحضارية عند بن نبي، وأهم انطلاقاتها المرجعية في بلورته لفكرة حضارية قائمة على التعاقب الدوري للحضارات اي انه انطلق من أفكار غيره وأضافه فكرته الخاصة في الحضارة التي لها مميزات وسميات خاصة بيه فقط وهي :

¹ امينة شيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و ارنولد توينبي ، ص 67

➤ التسلسل والانتقال : ويعني بالتسلسل أن الحضارة مستمرة النمو و مترابطة المراحل ، بمعنى أن بمجرد استكمال دورة غايتها ، تدخل بسرعة في طي الماضي لتدخل ساحة التاريخ دورة حضارية أخرى تخالفها في الخصائص، فعندما تستكمل الحضارة دورتها وتتحول إلى الظروف مختلفة تهاجر وتنتقل إلى بقعة أخرى.

فدور الحضارة عند بن نبي تعمي هجرة الحضارات وانتقالها من بقعة إلى أخرى حيث يقول : « فإنها تدفعنا الى تأكيد الجانب الانتقالي في الحضارة إي أننا لا نرى سوى تعاقب ظواهر عضوية لكل منها بالضرورة في مجالها المعين بداية ونهاية. »¹ بمعنى أن لكل حضارة بداية ونهاية ، فعندما تغرب شمس الحضارة على شعب ما، بالضرورة سوف تشرق عند آخر ، أي أن الركب الحضاري ليس حكرا على شعب دون الآخر فكل المجتمعات البشرية تستطيع الدخول في مقياس الحضارة ، وفعاليتها التي تحدد درجة أحضرها.

وهذا ما جاء في كتاب الله العزيز في فكرة التداول الحضاري والذي يظهر في قوله تعالى:

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) فعندما يعرف بن نبي الحضارات على انها مجموعة عادية تتابع في وحدات متشابهة ولكنها غير متماثلة² يقصد أن الحضارات تتسلسل فيما بينها في الظهور على الساحة الحضارية وتنتقل وفق تسلسل منطقي ويحدد كل حضارة مميزاتا، فالحضارات سلسلة متصلة من الدورات والاختلاف بين الدورات والشروط التي تحكم كل حضارة . فعندما تحتل الشروط الملائمة لحضارة صاعدة سوف تضمحل، وتنتقل مشروعية الصعود إلى حضارة أخرى بعد ان فشلت السابقة ، هذا ما يؤكد في قوله : « يجب أن ينتهي التاريخ في نقطة ما كي يتحدد من نقطة جديدة »³ فمؤشر الظهور والصعود للحضارة في عجلة التاريخ ينتقل من حضارة إلى أخرى ، فالحركة الحضارية لا تعرف الثبات

¹ مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، ص 23

² مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق ص 27

³ مالك بن نبي ، المسلم و رسالته في ثلث الاخير من قرن 20، مصدر سابق ص 19

والسكون في حركة مستمرة لتنتقل من صفة إلى أخرى ومن مكان إلى آخر. فالحركة الحضارية عند بن نبي يسعى من خلالها للتغيير والتجديد الحضاري بتدريك مواطن الضعف وتغييرها فضل فعاليته.

➤ التغيير : يعبر بن نبي إن الحضارة في صيرورة مستمرة ، فهي ظاهرة مجتمعية لها صيرورتها التاريخية تمر بمراحل بداية الروح ، ثم تدخل بعد ذلك مرحلة جديدة تسمى مرحلة العقل ثم مرحلة الغزيرة ، وبالتالي تمر عبر ظهورها بثلاث مراحل النهضة والأوج الأفول « فالتحليل التاريخي للحضارة معينة أنها تقع بين حدين اثنتين هما الميلاد والافول »¹ بمعنى أن الحضارة عند بن نبي تعبر عن تطور التاريخي في نفسية الإنسان وحالة المجتمع من ظهور التاريخي إلى آخر في محور الزمن، وتبعاً لهذا فإن هناك تغيير ملحوظ نلمسه في كل مرحلة ودورة حضارية عند بن نبي فتقول الباحثة نورة خالد مادام هناك دورة يمر بها الفرد والمجتمع في حركة تاريخية وهناك افول في مقابل النهضة وهناك أيضاً مكان وإرادة حضارية للتغيير لدى الفرد والمجتمع فلا قد في ظل كل هذه العوامل التغييرية من تحديد اليقظة التاريخية التي يمر بها الفرد حتى تسهل عليه الحركة والتغيير² فهي تشرح هذا القول قانون الدور الحضاري عند بن نبي من الأفول وظهور للحضارة فهي في تغيير مستمر والمواد التعبيرية لدى الفرد. الشيء يسعى إلى التغيير الحضاري فهو ينطلق من وعي معرفي يرى بأن كل أداة وسلوك يحمل في عمقه منطلقات ومرجعيات النجاح والخيبة أو الفشل منه يجب أن تكون مبرراته في التغيير أساس نجاحه، وذلك في التوجيه إرادته توجيهها خادماً للحضارة ، فعندما يعرف الإنسان في الأزمات الحضارية ويصبح يعيش في كنف التخلف والاستكانة يصح عليه لزوماً أن يعيد ترتيب أوراقه ويعيد ترتيبها من جديد بإعطاء أولوية للورقة التي تحمل اسمه مقروناً بالحضارة واسم عنوانها الإنسان فهو صانعها .

¹ مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 46

² نورة خالد السعد، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دراسة في بناء نظرية اجتماعية، رياض، دار السعودية

للنشر و التوزيع، ط 1 1997 ص 27

فبن نبي يميز " التغير الحضاري " والتغير الاجتماعي " فالتغيير الحضاري ظاهرة تضمن البناء والتطور الحضاري وهو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء ، بينما التغيير الاجتماعي هي ظاهرة خاصة بالتغيير للفرد من أجل أن يغير في الحضارة ، ويكون التغيير في نفوس الأفراد حيث يقول: « التغيير في الفرد هو أساس التغيير الاجتماعي أو بعبارة أخرى ما لم أتجدد إنا فان أستطيع أن أجدد شيئاً ، وما لم نتجدد نحن فلن نستطيع تجديد المجتمع » فالتغيير يؤثر في سلوك الفردي ومن ثم البناء الاجتماعي والحضاري ، ويكون باللعب الروحي المتين ، والتغيير الفردي حسب بن نبي يكون وفق إرادة فاعلة ونية حقيقة في التغيير والنهضة الحضارية ، وهذا ما يؤكد دائماً مستشهد بالآية « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فإذا غير الأفراد ما بأنفسهم سوف يتغير ما بالمجتمع والواقع الحضاري

➤ **تجدد** : يرى بن نبي إن الحضارة تسير وفق ديناميكية مستمرة فهي تنتقل من خال إلى آخر والتجديد الحضاري في ارتباطه بالإنسان، والمجتمع قوة فعالة أساسها التغيير ، فتقوم هذه القوة بدفع الإنسان إلى الحركة داخل التاريخ لبني الحضارة ، ويوجد فرق كبير بين الإنسان ما قبل الحضارة والإنسان المتحضر الأول يعيش على الطبيعة وتصوراته وأخلاقه ووسائل أعماله، أما الإنسان الحضارة يعيش على ما تبعده عبقريته في الجانب الاقتصادي والفكري والأخلاقي والاجتماعي ، بمرحلة ما قبل التاريخ تشترط التجديد الحضاري لتقوية البناء الحضاري وتطويره وتحسينه والمحافظة على بقاءه واستمراره.¹

إن التجديد الحضاري في أي مجتمع وفي أي مرحلة من مراحل التاريخ هو إستراتيجية تغيير أوضاع وظروف الفرد النفسية والاجتماعية نحو الأفضل وبنا يضمن تطوير أفكاره وسلوكه وأعماله وتطوير كل ما يتصل بالأعمال ووسائل وطرق ونتائج.² بمعنى أن دور التجديد الحضاري عند بن نبي يتحدد مراحل

¹ مالك بن نبي ، ميلاد المجتمع ، مصدر سابق ص 30

² الطيب برغوث ، محاوريات البعد الثقافي في استراتيجية التحديد الحضاري عند بن نبي ، دمشق ، دار قرربة لنشر و التوزيع، ط2 2004 ص 3

المجتمع ، كما يحدده عمر الحضارة ومن خلال أطورها الثلاث ، ففي مرحلة ما قبل الحضارة يقوم بتوفير الشروط اللازمة للبناء الحضاري ، إذ ينقل القرد والمجتمع من مرحلة الحضارة إلى مرحلة ما بعد الحضارة ، ومن خلال مرحلة ما بعد الحضارة يقوم بتطوير الحضارة في مختلف الجوانب ضمان للاستقرار واستمرارها .

بمرحلة ما قبل الحضارة تشترط التجديد الحضاري لنقل الإنسان إلى عالم الحضارة ، وفي مرحلة الحضارة يحتاج الإنسان إلى التجديد الحضاري وتطويره والمحافظة عليه لان عوامل الفساد والضعف هي التي تجعل الحضارة تدخل في طي التلاشي¹ ، فالتجديد عند بن نبي لا يعني إلغاء القديم والبدء من جديد بقدر ما هو استيعاب للقديم وتجاوز عوائقه للأخذ بيه نحو آفاق أرحب .

8. مراحل الدورة الحضارية عند مالك بن نبي :

أن الدورة الحضارية عند بن نبي تشكل تصور لحركة التاريخ ، ومحاولة منه لاستنباط كينونة الحضارات ومعرفة أسباب نشوئها وازدهارها ، ونتيجة كل سبب في ذلك ، فالحضارة عند بن نبي تمر عبر تطورها التاريخي بأدوار متباينة فيما بينها ، فهي منتقلة من مرحلة إلى أخرى ولكل مرحلة مميزات ونطاقها الزماني . فما هي أسس ومميزات كل مرحلة من مراحل الدورة الحضارية البنائية ؟

➤ مرحلة الروح:

ويقصد بن نبي بالروح الفكرة الدينية ، فالمجتمع يكون في المرحلة البدائية كمادة خام ، فتبعث فيه الشرارة الدينية لتحرك كنت مع نشاطه وتخلصه من هيمنة الغريزة و القيم الدينية ، فالروح هي بداية الطريق الحضاري حيث يقول: « ومن هنا يستطيع المؤمن إدراك الحقيقة الساطعة التي يفسرها التاريخ في الفقرة التي وردت في أحد الكتب المنزلة القديمة في البدء كانت الروح »² بمعنى أن بداية إي حضارة أساسها

¹ الطيب برغوث ، المرجع نفسه ص 3

² مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية عبد الصابور شاهين، بيروت، دار الفكر ، ط 3 1968 ص 68

الدين، ويكون للإنسان في هذه المرحلة روح متأججة كلها إيمان وأمل تسمو نحو المثل العليا التي رسمتها الفكرة الدينية، وتتميز أيضا باندفاع روحي قوي يتحكم في العقول ويقوي الشعور ويوظف الغرائز الفطرية في خدمة المثل العليا، فتكون العلاقات الاجتماعية متماسكة الوضعية حيث يقول: « فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المسيحي، ام كنا بصدد المجتمعات التي قد جرت أو اختفت تماما من الوجود، نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية »¹ فالدين أساس قيام الحضارات حسب بن نبي سواء كانت مجتمعات لها زين واحد أو عدة ديانات (الوضعية والسماوية)، ويقول أيضا: « فالشيعوية دين أرضي، وهي عقيدة يدين بها أصحابها ويناضلون من أجلها ويموتون »² بمعنى أن الشيوعية نزعة دينية تنتمي إلى نظام الاشتراكي ساهمت في إرساء القواعد الاشتراكية ووحدة الاشتراكيين.

وتكشف فكرة العلاقة بين الدين والحضارة في نظرية نبي عن جانبين وهما :

- الإيمان بالغيب

- الجانب الاجتماعي

والجانب الثاني مترتب على الجانب الأول، بل هو نتيجة في التاريخ، ووجوده متوقف على قوة الإيمان بالجانب الأول، حيث يقول: « والفكرة الدينية لا تقوم بدورها الاجتماعي إلا بقدر ما تكون متمسكة بقيمتها الغيبية، أي بقدر ما تكون معبرة عن نظرتنا إلى ما بعد الأشياء الأرضية »³ فالعلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي توجد العلاقة الاجتماعية والدور الاجتماعي للدين يتحقق في شكل تركيب يهدف إلى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى الوضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة لحضارة

¹ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق ص 56

² مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في ثلث الأخير من القرن 20، مصدر سابق ص 14

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق ص 51

،وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية ويجعل من الوقت الذي هو ساعات وقت اجتماعي مقدر بساعات عمل .

➤ مرحلة العقل:

بعد أن كان الإنسان يعيش في كنف الدين ،الذي خلص من هيمنة الغريزة، سوف يدخل في نطاق آخر وهو مرحلة العقل وتتميز هذه المرحلة في نقص الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية حيث يقول : «نلاحظ نقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية وان هذه الفكرة تظل مواصلة لنقصانها منذ أن دخلت الحضارة منعطف العقل » أي أن الفعالية الدينية في تناقص مستمر. عندما يدخل الإنسان إلى جانب المادي وتنتقل هذه المرحلة من سيطرة الأشخاص إلى سيطرة الوسائل، حيث يتجه المجتمع بالاستعانة بمناهج وتقنيات تساعده على انتشاره وتوسعه وتشهد الإبداعات والاكتشافات العلمية والفنية .

يقول بن نبي : «إن أوج إي حضارة وأعني ازدهار العلوم والفنون يلتقي من وجها علم العلل البحث مع بدء مرض اجتماعي معين لم يجتذب انتباه المؤرخين وعلماء الاجتماع بعد لأن آثاره بعيدة » كُمعنى أن مرحلة العقل تمثل أوج مرحلة حضارية عند بن نبي لأنها تزدهر فيها العلوم، وتكتشف القوانين الجديدة، وتوسيع نطاق المعرفة في كل المجالات، خصوصا التكنولوجية منها، فتسيطر الآلة والمادة على الفكر والدين ، فتتلاشى الفعالية الدينية شيئا فشيئا، وبالتالي تنفك العلاقات الاجتماعية، وبالتالي يظهر الفراغ الاجتماعي وتخدم المبادئ والأخلاق والروح فتمزق شبكة العلاقات هو تمزق الثقافة باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد

¹ مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، مصدر سابق ص 111

² مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مصدر سابق ص 53

➤ مرحلة الغريزة :

يعتبرها بن نبي المرحلة الخيرة وهي حد فاصل بين مرحلة الروح ومرحلة العقل حيث يقول : «عندما يبلغ تحرر الغرائز الدنيا ومن عقالها، وتتكشم تأثيرات الروح في النفوس بطغيان الترف، وتعود بالإنسان بالحياة البدائية ويبلغ العقل مداه يبدأ الطور الثالث من أطوار الحضارة وهو طور الغريزة فيكشف عن مجتمع منحل، ومتى توقفت الدفعة الإيمانية في عناصر المجتمع يفقد معها قدرته على التقدم والتجديد كما يتوقف المحرك عندما يستنزف آخر قطرة من الوقود »¹ أي عندما يتوقف الإشعاع الروحي والتدفق الإيماني لدى الفرد الذي يحرك بيه شبكة العلاقات الاجتماعية ويسعى بيه إلى السمو الروحي والأخلاقي، فتظهر بوادر الانحطاط وأقول نجم الحضارة .

فالدورة الحضارية عند بن نبي تبدأ قوية مندفعة عندما تسيطر الروح أو العاطفة الصادقة والشعور الجماعي القوي لتنفيذ فكرة ، وهذه الروح تضبط الغرائز الدنيوية، ثم تبدأ مرحلة كطف الثمار هذه الحضارة من تمكن وازدهار العلوم والفنون ،وفي هذه المرحلة تبدأ الغرائز في الانفلات شيئاً فشيئاً ويسميتها مرحلة العقل ،لتصل الحضارة لمرحلة ثالثة وهي مرحلة الانحطاط وتفكك العلاقات الاجتماعية ككل ويرى بن نبي إن الإنسان يدخل إلى مرحلة ما بعد الحضارة وهي أسوء من مرحلة ما قبل الحضارة لأن هذه الأخيرة يكون فيها الإنسان على الفطرة أو مهياً لدخول حضارة ،ولكن الوصول إلى مرحلة ما قبل الحضارة لأن هذه الأخيرة يكون فيها الإنسان على الفطرة أو مهياً لدخول حضارة ، ولكن الوصول إلى مرحلة الأخيرة لا يعني أن مالكا يجعلها دورة حتمية المآل والزوال فالحضارة يمكن أن تستأنف مرة ثانية إذ الفكرة الدينية أن تكون فاعلة وحاضرة في الأمة.² بمعنى أنه يبقى الاعتناق الديني والسير على خطاه دائما الأساس الحضاري عند بن نبي ،فالملاحم الأولى للحضارة هي نسيج أخط بخيوط دينية ثم إن بدء

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق ص 77

² محمد عبدو ، مالك بن نبي ، مفكر اجتماعي ورائد اضلاحي ، دمشق، دار الفتح ، ط 1 1973 ص 61

يتوقف الإشعاع الديني تبدأ تنفلت الحضارة من قيمة الإنسان تدريجيا إلى إن يعيد تفعيلها مرة أخرى بعد إن انفلتت كليا منه فالدين هو الإطار المرجعي القويم الذي لا تحيد عنه الحضارة

9. الاستنتاج العام :

ستنتج أن الحضارة لها مدلول معنوي يضم الجانب الإنساني وما ينطوي عليه من اتجاهات كالاتجاه الديني والعاطفي والأخلاقي والفكري وهذه الاتجاهات كلها يحولها وعاء فكري واحد وهو الثقافة ، ومدلول ثاني يعبر عن مختلف الانتهاكات العلمية والوسائل المادية التي تعبر عن التطور الحضاري إن الحضارة نشاط إنساني تعبر عن مجهودات ومختلف أساليبه للارتقاء من الحالة البدائية الهمجية إلى الحالة الحضارية وفي ظل هذا المسار الانتقالي تتنوع طرقه ومناهجه في التطور ، حيث نقول إن بن نبي يرى أن الحضارة أو التاريخ البشري عبارة عن مجموعة دورات، يكمل بعضها بعضا وكل دورة منعا تشكل حضارة معينة لمجتمع معين ، وأكد هذه القاعدة الحضارية بعد استنائه العميق لتاريخ البشري، وما يصادفه من سنن ثابتة غير متغيرة، وفي ظل استناده الآراء ومبررات العديد من الباحثين والمفكرين بالقانون الدولي للحضارات كقاعدة أساسية في بنية كل حضارة ،إلا انه اخذ منه آرائهم ليضفي عليها وفكره للحضارة خالصة التي تميزه عن غيره ،فبهذا نخرج بنتيجة مؤكدة أن بن نبي أسس لنظريته في التعاقب الدوري بعقل منفتح ومحلل غير مقلد .

نقول إن بن نبي حدد ثلاثة أجزاء تقوم بها كل حضارة(طور الروح،طور العقل،طور الغريزة) وهذه الأطوار هي قاعدة تخضع لها أي حضارة في التاريخ وأبرز ما ما يميز كل مرحلة عن أخرى هو مدى تأثير فكرة دينية في إرساء معالم كل مرحلة من مراحل الدورة الحضارية ،فالفكرة الدينية تدخل قلب التاريخ بمجراه وترسم ملامح الحضارة في كل مرحلة.

أن فكر مالك بن نبي جاء ليحكم مشروعه الحضاري الذي يسير بمقتضى التعاقب الدوري للحضارات، وهذا الدور هو على شاكلة مسار يحدد عمر الحضارة من بدايتها إلى أفولها وسقوطها، وكذلك يبرز

الانتقال والديناميكية الحضارية ، أي حسب بذل جهد واستغلال الطاقة وإنتاج الأفكار والنظريات،
فالحضارة عنده هي نشاط تفاعلي تساهم فيه كل طبقات المجتمع، فهي تبادل في الرؤى ووجهات النظر .
فمالك بن نبي انطلق من فكرة أن الحضارة عبر تطورها التاريخي تكرر بأدوار متباينة فيما بينها تأسس
كل منهما على الأخرى وهو ما يصطلح عليه "الدوري الحضاري " فمالك بن نبي يعتبر من مفكرين
الحضارة لأن جوهر بحوثه وتحليلاته تركز على فهم الحضارة اس إن لها قانون وضرورة لابد أن تسير
عليها،فهي مرتبطة بمجموعة من الأسباب والعوامل والنتائج، كما أنها ظاهرة إنسانية ذات علاقة تأثير
وتأثر فيها بمعنى أن الإنسان محرك ومتحرك داخلها.

خاتمة

خاتمة:

كما عودتنا الحياة لكل بداية نهاية ، وهو البحث يحط رحاله يعبر عن انتهاء مسيرته لكن هذا البحث يحمل بدور حياته في موته بلا ينتهي موضوع ، إلا وتولد أسئلة أخرى وافني حياته من أجل تطوير فكره ، لقد توصلنا في نهاية هذه المحاولة العلمية المتواضعة بالغوص في حياة مالك بن نبي وإسهاماته الفكرية فالانتقال الحضاري للمجتمع وآرائه في تحديد

_أولا القضايا التي تهم مجتمعه الضيق(الجزائر) وأمته المترامية (العالم الإسلامي)

_ثانيا رصد جملة من الاستنتاجات أسوقها على النحو الآتي:

_ أن القارئ لمالك بن نبي يكشف أنه كان يتمتع بفكر راق وثقافة واسعة ، ومنهج علمي دقيق في تفسير المفاهيم والظواهر ، ذلك الفكر الرياضي واق ضد مرض الثثرة لحسن الكتابة باللغة العربية نظرا للظروف الاستعمارية التي عاشها ، وهذا ما جعله يكتب بالفرنسية

_شخص مالك بن نبي جملة من الأمراض الحضارية التي أقعدت الأمة و انتزعت منها فاعليتها، وأفقدتها سيادتها ومن تلك الأمراض نجد قابلية الاستعمار التكديس ولا فعالية والأفكار الميتة وغيرها كثيرا وكان كلما وجد مرضا ،صح آثاره ووصف له العلاج والدواء وما هذه الأدوية الا تلك الكتب على الصراع الفكري في البلاد المستعمرة وأقترح فكرة كومنولث الإسلامي ونصحهم بالتعاون فغيروا ما بأنفسهم وكان دواؤهم الشافي لما في صدورهم.

وفي الأخير نحرص القول على أن مالك بن نبي من بين المفكرين المعاصرين الذين أضفوا الكثير من الأفكار القيمة مؤلفات المهمة التي تخدم المجتمع وتعالج كل مشاكله.

قائمة المراجع

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

• الكتب:

- أحمد الباسني مدخل الى فكر مالك بن نبي ، ط1 2014.
- الجوهري محمد يوسف محسن، ابن خلدون انجاز فكري متجدد ، مكتبة الاسكندرية ، 2008.
- الطيب برغوث ، محاوريات البعد الثقافي في استراتيجية التحديد الحضاري عند بن نبي ، دمشق، دار قركبة لنشر و التوزيع، ط2 2004 .
- الوافي ، علي عبد الواحد ، مقدمة ابن خلدون، ط 6 ، دار النهضة مصر 2012 .
- امينة شيكو ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي و ارنولد تويني.
- بتول أحمد جناريه، على عتبة الحضارة ، بحث في سنن و عوامل التخلق و الانهيار، سوريا دار الملتقى ط 1 2011.
- خير الدين زركلي بن محمود، كتاب الامم الطبعة 15، دار العلم للملايين عام 2002.
- شابرة محمد، الحضارة الاسلامية (اسباب الانحطاط و الحاجة الى الاصلاح، ط 1 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، 2012
- مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية عبد الصابور شاهين، بيروت، دار الفكر ، ط 3 1968
- مالك بن نبي ، المسلم و رسالته في ثلث الاخير من قرن 20 ، ترجمة عمر سقاوي ، دمشق ، عالم الفكر، ط 1
- محمد سعيد رمضان بوطي منهج الحضارة الانسانية في القرآن، دمشق دار الفكر، ط2
- محمد عبده ، مالك بن نبي ، مفكر اجتماعي و رائد اضلاحي ، دمشق، دار الفتح ، ط 1 1973
- نورة خالد السعد، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي ، دراسة في بناء نظرية اجتماعية، رياض، دار السعودية للنشر و التوزيع، ط 1 1997.
- ياسين عطوي 2016 المفكر مالك بن نبي حياته اعماله.

• المذكرات:

قرار صافية 2019 مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي ،مذكرة ماستر

• مواقع الكترونية:

arm.wikipedia.org